السنة الرابعة عشرة　　العدد ٣　　اذار ١٩١١

المشرق

# الحركة العلميَّة في السنة المنقضية

يليها ملحق في ترعة بناما — ماضيها وحاضرها

للاب لويس رترقال اليسوعي

يستدعي نظرُنا في احوال العام المنصرم (ص ٢ و ١٢٨) كلمةً في الحركة العلميَّة وترقي المعارف والصنائع البشريَّة في تلك المدَّة فنقول

﴿ الذنَبات ﴾ يجوز ان تدعى السنة المنصرمة بسنة الذنَبات لما ظهر فيها من هذه الاجرام الفلكيَّة الغريبة لاسيما ذنَبيْ جوهنسبورغ (او دراك) في كانون الثاني وهلاي في آذار وفيما بعد (راجع مقالتنا في المشرق ١٣ : ٢١٠). فلسائل ان يسأل: وماذا استنتج العلماء من مرور ارضنا في ذنب كوكب هلاي؟ الجواب انَّ اللجان العلميَّة التي تشكَّلت لرصدهِ لم تأتنا بعد بنتيجة ابحاثها تماماً والغالب انهُ لم يحدث شيء خارق العادة. وما اتَّفقوا عليهِ بلا خلاف انَّ ما يترجَّمهُ البعض بظهور الذنَبات من الشرور لا سند لهُ البتَّة في غير خيال اهل الخرافات

وقد تساءل البعض أيوجد علاقة بين هذه المظاهر الجويَّة وطغيان الانهار الذي حدث في بعض الامكنة وخصوصاً نهري السين واللوار في فرنسة. ان الامر لمحتمل ولكن ليس لدينا دليل قاطع. على انَّ احد الفلكيين الفرنسويين قد انبأ بوقوع امطار وفيضانات غير اعتياديَّة مدَّة خمس سنوات. وقد يذكر اهل بيروت ما هطل عندنا من الامطار الغزيرة في يوم الزلازل التي دهمت مدينة

﴿ الراديوم ﴾ لم تنقطع مادام كوري (M^me Curie) بعد وفاة زوجها الفجائيَّة عن اختباراتها في الاجسام المشعَّة وقد عضدها في شغلها المسيو دبيارن

( Mr Debierne ) فتوفّق كلاهما الى استخلاص عنصر الراديوم من مركّباته كما اعلنا ذلك للمجمع العلميّ في باريس . وقد حصل لهما مرغوبهما بان عمدا الى عُشر غرام من كلورور الراديوم عالجوه بمركّب من الزئبق لستحضروه بالتحليل الكهربائي فألقي الزئبق بالاستقطار وبقي دقيقٌ من الراديوم الخالص لم يُرَ شبهه سابقاً فاذا هو معدن ابيض برّاق يتأكسد سريعاً في الهواء ويسودّ واذا وُضع على الحديد لصق به وعلى الورق حرقه واذ أُلقي في الماء حلّلهُ بعُنف. فكان لهذا الاكتشاف صدى استحسان في عالم العلم واهدت جمعيّة العلوم الملكيّة الانكليزيّة وسام ألبرت الى مدام كوري شكراً لفضلها في اكتشافاتها المتواصلة. وكان البعض يظنّون انّ أكادمية العلوم الباريزيّة تقبل مادام كوري في عداد جماعتها الّا ان المسيو برانلي (Branly) استاذ الطبيعيّات في مكتب باريس الكاثوليكيّ ومكتشف مبدأ التلغرافية اللاسلكيّة نال اغلبيّة الاصوات في ١٤ ك ٢. ثمّ انّ اعضاء تلك الجمعيّة لم يقرّروا حتى الآن أيقبلون بينهم نساء ام لا واغلبهم لا يرضى بذلك. وقد فكّر قوم في ان ينشئوا جمعيّة علميّة للنساء وحدهنّ

وفي ٢٠ تشرين الاوّل بشّر المسيو رمساي ( Mr Ramsay ) بريطانيةَ العظمى بانّهُ اكتشف لاستخلاص مركّبات الراديوم من عنصر البشبلند ( pèchebleude ) الموجود في بلاد الفال طريقةً تزيد سرعتها ستّة اضعاف على الطرائق المألوفة

﴿ العلاج ٦٠٦ ﴾ بين الاكتشافات الطبيّة التي طبّلت لها الجرائد وزمّرت فوجدت في الاعلانات بيا مورداً جديداً للربح وأمّل منها البعض شفاء الامراض الزهريّة المستبحة ما وقف عليه العلّامة اهرلخ الالماني احد اساتذة فرنكفورت وهو العلاج الموسوم بالعلاج ٦٠٦ لانّهُ اختبر قبلهُ ٦٠٥ تركيبات مختلفة لينال بها مركّباً من الزرنيخ يقتل ميكروب الداء دون ان يضرّ بجسم الانسان. فهذا العلاج يتألف من مركّب زرنيخي ذي ركن آليّ يسمّى باسم غريب « dioxyamidoar-sénobenzol » اي ثاني اوكسيد النشا مع مركّب الزرنيخ والبنزول. والغاية منهُ علاج العيون والداء الزهريّ بدلاً من الادوية المركّبة من الملح الهدرارجيري. فما ذاع خبر هذا الاكتشاف حتى طنطنت له الصحافة وأطرأت المكتشف الالماني ضاربةً الصفح عن الكيموي الفرنسوي بيشو ( Béchaut ) الذي سبقهُ الى تركيب مركّبات

الرثيخ الآلية. وبالغت في مفاعيل الملاج كأنهُ الدواء الشافي لا محالة مع انّ الاطباء بعد ان خمد هوَس القوم تحققوا انّ في استعماله خطرًا أدّى في بعض الاحيان الى فقد البصر بل الى فقد الحياة. على انهُ لا يُنكر انّ هذا الملاج أتى بنتائج لم تكن في الحسبان

**فنّ الطيران** نال هـذا الفنّ في السنة المنقضية ترقيًا عظيماً فانّ عدد الـذين تجنّحوا بالاجنحة الصناعيّة وركبوا متن الهواء فطاروا في الجوّ لم يَعُدْ يُحصى ولكن لسوء الحظّ قد طال ايضاً جدول ضحايا هذا الفنّ المستحدث. ومن جملة من ماتوا شهداء إقدامهم فكان لفاجعتهم رنّة حزن بالغة الطيّار شافه ( E. Chavez ) من اهـل سافو! مات بعد فوزه بنجاح باهر. ففي الخريف المنصرم حلّق طائرًا في الجوّ فاجتاز من فرنسة الى ايطالية فوق جبال سيلون الشاهقة وكان اوشك ان ينزل في بلدة دومودوسولا وبلغ الى عشرين مترًا من الحضيض اذ سقطت آلتهُ فجأةً وأُصيب المنكود الحظّ بجروح بليغة اودت بحياته بعد اربعة أيام ونُقلت جثّته الى باريس بكل احتفاء واكرام

والحقّ يقال انّ مسألة هبوط الطيّارات وانحدار راكبيها الى الحضيض بسلامة من الامور التي تشغل اليوم افكار الجمهور. وممّا تسعى فيه « عصبة الطيران الوطنيّة » سعياً حثيثاً ان تجد وسيلة فعّالة تصون حياة راكب الطيّارة دون ان يفكّر في حياته شاء ام ابى. والظاهر انّ للهواء داء كما للبحر فالراكب لجلوسه امام الرفّاس يتأذّى من دورانه ويحسّ قسماً من الغاز الذي يلقيه في وجهه بحركته فيصيبهُ تقزّز وغثيان ودُوار. وكذلك عند هبوط الطيّارة يُصاب حجاب الصدر بالخفاش يضغط على جهاز البطن فيُحدث ضعفاً رُبّما يُغشى لسببه على صاحبه. ومن عجيب الامور التي ظهرت بالاختبار انّ الساقط من علوّ مئات من الامتار ينجو من الموت بنوع اسهل من الساقط من علوّ عشرين مترًا فقط. كما ظهر مؤخّرًا بسقوط احد الطيّارين من علوّ ٣٠٠ قدم فلم يمت. والسبب انّ الساقط من علوّ بالغ يمكنهُ ان يستعين بمظلّة النجاة ( parachute ) وهذه المظلّة لا فائدة منها من علوّ خفيف

ويذكر المصريّون ما جرى عندهم في عين شمس من سباق الطيران في العشر الاول من شباط. على انّ هذا السباق لم يكن حليف النجاح فانّ الطيّارات البسيطة

الاجنحة (monoplans) والمزدوجة (biplans) كانت اثنتي عشرة فقط يوم السباق بدلاً من ١٨ كانت أُحضرت من اوربة ولمّا طارت جاءت الريح والرمل في وجهها فتعرقل سيرها ولعلّ ايدي الخصوم شوّشت أجهزتها اكثر من عوائق الطبيعة. وقد شاع انّ المسابقين عازمون على تكرار العمل

وفي ١٧ آب تمّ في شرقيّ فرنسة سباق كان خطرهُ ١٠٠,٠٠٠ فرنك وحدوده دائرة معلومة فكان الظافر المسمّى لوبلان (Leblanc) غير ان الالمان لم يروا بعين الرضى طيّاري فرنسة يحلّقون في طيرانهم فوق تخوم بلاد الالزاس فساءوا فيهم الظنّ

وفي ١٣ تشرين الثاني قطع الفرنسويّان لانيو (Lagnieux) ومرتينه (Martinet) الشأو بين باريس فبروكسل بساعتين وثماني دقائق (اقل من ٣ ساعات ونصف) على طيّارة مزدوجة الاجنحة. وفي ٢٥ منهُ ارتفع دركسل (Drexel) على طيّارته المفردة الاجنحة الى علو ٣٣٠٠ متر حيث لم يبلغ احد قبلهُ

﴿ فنّ المناطيد ﴾ لم يُنسِ الطيرانُ فنّ المناطيد والمراكب الهوائيّة. فانّ بعض هذه السفن الجويّة قطعت غير مرّة فرضة المانش بين فرنسة وانكلترة فاستحسنت انكلترة هذه المناطيد وابتاعت احدها بثمن ١٠,٠٠٠ ليرة مقرّة بفضل الصناعة الفرنسويّة ورقيها

فكان نجاح هؤلاء الركّاب داعياً لغيرهم ان يطمحوا ببصرهم الى ما هو ابعد شأواً فان الاميركيّ ولمان (Wellmann) ركب في ١٥ تشرين الاول منطاداً كبيراً دعاهُ « اميركا اتلنتك ستي » (America Atlantic City) وقصدهُ ان يقطع عليهِ الاوقيانوس فينزل في انكلترة وكانت مركبتهُ مجهّزة بادوات التلغراف اللاسلكي ليخابر البرّين فقطع ٨٥٠ ميلاً بتسع وستين ساعة بمعدّل ١٠ الى ٢٥ ميلاً في الساعة الّا انّ الضباب تكاثف عليهِ فتاهَ وانقطعت عن البرّ اخبارهُ حتى أيسوا من نجاته لولا ان سفينة تدعى ترينت (Trient) انقذتهُ من الغرق. وبعد الفحص تبيّن انّ طابورة المركبة لم يُحسَن تعديلها. على انّ هذا الفشل لم يثبّط آمال غيرهم من الاميركيين. وممّا يُذكر لهم سباق عشرة مناطيد تطايرت في ١٧ تشرين الاوّل من مدينة سان لويس لربح جائزة كأس خصّها بذلك غردون بنّات (Gordon-Bennett) فتناوبت عليها النُوب وسقط بعضها في البُحيرات فنُشلت من الغرق

**﴿ فن البحارة ﴾** انَّ اصطدام المراكب البحريَّة كثيرًا ما يسبب للشركات خسائر عظيمة فضلًا عن غرق راكبيها ومن ثمَّ يتساءل مهندسو العمارات البحريَّة عمَّا اذا كان يوجد طريقة لاستدراك هذا الخطر العظيم بتوقيف السفينة على فورٍ كما توقف قطارات السكك الحديديَّة بالحكَمَة او اللجام (frein). وكان لهذا البحث شأن خطير بعد ان أُغرقت سفينةٌ بادي كاله (Pas-de-Calais) الغواصة بلوفيوز (Pluviôse) لان رائد السفينة عاين من علو مرصدهِ مرقبَ (périscope) الغوَّاصة الذي يرتفع عن سطح الماء لرصد الأُفق فأشار الى الخطر لكنَّ السفينة لم تُحسِن لسرعتها وثقلها ان تثبت في مكانها او ترجع القهقرى عن كثب فجرى ما جرى. وقد اثبت آخرًا بالحسابات الدقيقة المسيو برتين (Mr Bertin) رئيس مهندسي العمائر البحريَّة الفرنسويَّة انَّ الدوارع البحريَّة اذا لم تعكس الآلات في سيرها لا تقف تمامًا عن الجري الا بعد ٥٢ دقيقة و٥٨ ثانية اي نحو ساعة وان كانت السفُن على حجم المركب دوتشلند احتاجت الى ساعة و١٣ دقيقة وقطعت في تلك المدَّة ٧٥٠٠ متر. امَّا اذا عُكست بغتةً آلات سير المركب فحركتهُ لا تبطل الا بعد قطعهِ مسافة مضاعفة لطولهِ. مثالهُ الدارعة ذات ١٥٠ مترًا فانَّها تسكن عن الحركة بعد قطع ٣٠٠ متر وقس عليهِ المراكب الكبرى فان وُجدت الدارعةُ على هذا الطول سفينةً صدمتها لا محالة وكانت صدمتُها اشدَّ والخطر على حسب وقت انعكاس آلة الدارعة. فكرُ المسيو برتين مصروف الآن الى اختراع لجام يبطل حركة السفينة تمامًا في لمحة العين او لسرع ما يكون ويقال انَّهُ توصل الى هذه الغاية بجهاز خصوصيّ اختبرهُ فاتى بالنجاح والسرّ لا يزال مكتومًا

ومما افادت الانباء البرقيَّة انَّ الانكليز ساعون في عمارة مراكب تجاريَّة طولها ٢٥٠ مترًا تقطع الاوقيانوس في سرعة ٤٠ عقدة في الساعة ويكون حمولها ٥٠,٠٠٠ طن والمخابرات جارية مع شركات العمائر البحريَّة

## ترعة پناما – ماضيها وحاضرها

نُلحق بباب النقابة البحرية نظرًا اجماليًا في هذا المشروع الخطير الذي توالت عليه النوائب فكادت تدخله في خبر كان ثمَّ عاد اليه الاميركيون وقصوى غايتهم ان يخرجوه الى حيّز الوجود. ونضرب هنا عن التفاصيل التي اثبتها سابقًا جناب الاديب الشيخ انطون الجميّل في السنة السابعة من المشرق (٧: ١٤٥ – ١٥٢) اذ ليس في الاعادة افادة فنقول

﴿ ماضي ترعة پناما ﴾ يجوز القول بأنَّ فتح ترعة تجمع بين الاوقيانوسين الاتلنتكي والهادي خطر على بال كبار الاقتصاديين منذ يوم عرفوا بالضبط هيئة اميركة وتقاطيع قسميها الجنوبي والشمالي. قيل انَّ اول من فكَّر في حفر ترعة بين البحرين انما كان انطونيو كلڤاو (A. Galvao) عرض فكرهُ على كرلوس الخامس سنة ١٥٢٨. وفي السنة ١٧٨٠ عرض نلسون الاميرال الشهير على وطنه انكلترة ان يحفر قناة نيكاراغوا لسبب بحيرتها الَّا انَّ السيو دي همبولد سنة ١٨٠٤ ومن بعده غليوم دي تأسو امير اورنجة سنة ١٨٢٦ ارتأيا تفضيل پناما. وكذلك فضَّلهُ احد المهندسين سنة ١٨٤٥ فطلب من الملك لويس فيليب الرخصة في فتح ذاك البرزخ

ثمَّ قام بعدهم فردينان دي ليسبس فاتح قناة سويس (١٨٥٩ – ١٨٦٩) وقدَّم نفسهُ لهذا العمل الجديد فتشكَّلت لجنة من المهندسين وتجوَّلوا في انحاء پناما مدَّة اربع سنوات لتقرير المشروع وتمهيد العمل فكانت نتيجة الابحاث في مؤتمر المهندسين ان تُحفر ترعة مكشوفة على سواء البحرين من خليج ليمون في بحر انتيل الى مرفأ پناما يكون طولها ٧٤ كيلومترًا في عرض ٢٢ مترًا وعمق ثمانية الى تسعة امتار. وبوشر بالامر بالتزام عدَّة ملازمين ثمَّ اقتصروا على خمسة اقسام كبيرة قسمان على منعطف الاتلنتك في امكنة عميقة بينها وادي ريو شاغرس (Rio Chagres) حيث يسيل سيلٌ جحاف. ثمَّ قسمان في جبال الكورديلار الوسطى المارَّة في مضيق كولابرا (اي الافعى). والقسم الخامس على منعطف البحر الهادي من جهة ريو غراندي (Rio Grande)

---

١) عرض هذا البرزخ يتراوح بين ٥٠ كيلومترًا و١٩٣ ك

فلمَّا اخذ العمل بالتقدُّم أُنشئت شركة عموميَّة رأس مالها ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك مقسَّمة على اسهم ذات ٥٠٠ ف تُدفع قسطين. ألَّا انَّ التبذير والتلاعب ما لبثا ان تسرَّبا الى هذا المشروع وتبدَّداهُ فاقتضى الامر إصدار قراطيس جديدة. وفي اثناء ذلك غيَّر المهندسون رسمهم فجعلوا القناة ذات حواجز (écluses). وفي سنة ١٨٨٨ عوَّل اصحاب العمل على قرضٍ جديد قدرهُ ٧٢٠ مليونًا لم يرضَ بهِ مجلس الندوة الفرنسويَّة ألَّا بصعوبةٍ ولم تفِ بهِ الاسهم واخذ الناس يتوقَّعون الافلاس

وكانت الاخبار تتناصر فتارةً تعظّم صعوبات المشروع وتارةً تشير الى مطامع الملازمين وحينًا تنبئ باختلاس اقساط من المال. وكانت الولايات المتَّحدة في غضون العمل تجاهر بخوفها من تملُّك الفرنسويين للقناة او على الاقل من خروجها عن حكمهم فتُعلن فكرها في فتح ترعة نيكاراغوا ونهر سان جوان لانَّ تلك الطريق مع طولها اكثر اقتصادًا على زعمها

ثم طلب مجلس الندوة الفرنسويَّة بان يُرسَل مراقبون يبحثون عن العمل ويتحقَّقون حسابات الملازمين والمهندسين فكان تقرير روسو (Rousseau) منذرًا بالخوف وسوء الظنّ بمشروع بناما. وفي اواخر السنة ١٨٨٨ طلبت الشركة مهلة ثلاثة شهور لوفاء ديونها فأُنكر عليها طلبها. فاستدَّ اذ ذاك فردينان دي لسبس من الحكم المدنيّ ان تُشكَّل لجنة من الوكلاء. فذهبت مساعيهم ادراج الرياح. ثمَّ اخذت الشكاوى تتوارد على الشركة الى محكمة باريس الابتدائيَّة في شهر كانون الثاني من ١٨٨٩ ولم تزل تتوالى حتَّى قضت المحكمة بالغاء الشركة فسقط مشروع بناما وبعد سقوطهِ اخذ القناع ينكشف عن ضروب من التبذير وابتزاز المال وانواع الرشوة والخداع تشيب لها رؤوس الاطفال حتَّى اصبح اسم بناما مرادفًا لكلّ مشروع خبيث وازمة ماليَّة مُنكرة. وافتتح المدَّعي العمومي المسيو كينه دي بوربار (Quesnay de Beaurepaire) في ١١ حزيران سنة ١٨٩١ تلك الدعوى الشهيرة التي دامت ١٧ شهرًا وانتهت بازمةٍ فضحت عددًا وافرًا من جلَّة الناس وارباب الامر بينهم المبعوثون والاعيان والوزراء والصحافيُّون ولاسيما ارباب الثروة من الاسرائليين مثل ريناخ وكورنيليوس هرتس وارتون. ولكثرة من اتَّسخوا بهذه الدعوة لم تلبث الازمة الماليَّة ان انقلبت الى ازمة سياسيَّة سقطت بسببها الوزارة وسرّيلت

فرنسة بالعار. على انَّ المحكمة لم تقض في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٨٩٢ الّا على فردينان دي ليبس وعلى ثلثة من وكلاء الشركة اللغاة وعلى ايفل المهندس الاوَّل واللازم الاكبر (ثلاث سنوات بعد تشييدهِ للبرج الحديدي المنسوب اليهِ في باريس ذي علوّ ٣٠٠ متر). فحدّث ولا حرج عن كثرة الذين فقدوا مالهم ممَّن خُدعوا بهذا المشروع وابتاعوا القراطيس املًا بالربح فلحقوا بالدقعا.

﴿ مشروع بناما الجديد ﴾ ولكن ماذا جرى بعد ذلك بالبرزخ وبالاعمال التي انجزها المهندسون هل استولى الخراب عليها او طغت عليها المياه؟ كلّا بل بقيت تلك الاعمال في حالة مرضية الى السنة ١٩٠١ حيث اجمع اعضاء مؤتمر الولايات المتَّحدة على استئناف الشغل بعد ابتياع حقوق الشركة الفرنسويَّة والتعويض الجزئي لأصحاب قراطيسها

وما قرَّر اصحاب المؤتمر ذاك القرار حتى حاولت الولايات المتَّحدة باجرائهِ عملًا دون تريُّث. وما كان الامر سهلًا لانَّ برزخ بناما كان من املاك اميركة الجنوبيَّة واقعًا في حكم جمهوريَّة كلومبيا التي حاضرتها بوغوتا. فما كانت الولايات المتَّحدة تستطيع التداخل في املاكها لكنَّها عرفت من اين تؤكل الكتف وكيف تحصل على مرغوبها فانَّ ايالة بناما كانت وقتئذٍ تغلي غليانًا لرغبة اهلها في الاستقلال فانتهزت الولايات المتحدة هذه الفرصة فالقت شبكتها في بحرهم وساعدتهم على نوال بغيتهم (١ ثم تفاقمت الفتن حتى اعلنت بناما باستقلالها في ٣ الى ٥ من تشرين الثاني سنة ١٩٠٣

وفي ٦ منهُ عيَّنت جمهوريَّة بناما كمعتمدها لدى الولايات المتحدة في واشنكتون الفرنسويّ فيليب بونوڤارلّا (Ph. Bunau-Varilla) فما وصل الى مركزهِ حتى استقبلهُ روزفلت في ١٣ من الشهر فجاهر المعتمد امامهُ بان الجمهوريَّة الجديدة تُعلن بصيانتها لحقوق الشركة الفرنسويَّة القديمة. وبعد خمسة ايَّام اعترفت فرنسة بالحكومة

١) كانت كولومبيا في مؤتمر بوغوتا رفضت المعاهدة المعروفة باي هرّان (Hay-Herran) التي كانت عتيدة ان تمهّد السبيل لفتح ترعة بناما فادَّعت الولايات المتحدة انَّ رعاياها في خطر فارسلت قوَّات لحمايتهم فاستفحل الشرّ بذلك وتويت الثورة فنسب الكلّ هذه الفتن لتوسُّط الولايات المتَّحدة

الجديدة وعلى اثرها جرت بقيَّة الدول. وفي يوم اعتراف فرنسة بجمهوريَّة پناما امضى السير هاي (Hay) مندوب الولايات المتحدة ومعتمد جمهوريَّة پناما بونوفارلا عهدة تخوّل الولايات المتحدة الحقّ بواصلة ترعة پناما واشترطت الولايات المتحدة على نفسها أنها تحافظ على استقلال جمهوريَّة پناما وتدفع لها مبلغ عشرة ملايين دولار وفي كل سنة ٢٥٠,٠٠٠ دولار وفاء لها عمَّا تمنحها الجمهوريَّة من حقوق تملك الترعة واستثمارها مع الاملاك اللاحقة بها والجزائر الواقعة في مرفأ پناما. فالولايات المتحدة لن تتصرَّف بها تصرُّفها باملاكها البريَّة والبحريَّة . وهذه العهدة صادقت عليها جمهوريَّة پناما في ٢ ك١ سنة ١٩٠٣ ثم رئيس الولايات المتحدة في واشنكتون في ٢٣ شباط ١٩٠٤. فرأى الجميع في هذه العهدة تنفيذ الولايات المتحدة لرغائبها ومفعول سلطة الكبير على الصغير. نعم انَّ جمهوريَّة پناما حظيت بالاستقلال لكنها فقدت في الوقت عينه حقوقها على الترعة التي كانت خوَّلتها العزَّ والقوَّة. وقد اخذت پناما تجري على مشترع دستورها في ١٤ شباط ١٩٠٤ امَّا الناس فلا يعرفون من احوالها غير اعمال الترعة التي تعاينها الجمهوريَّة لا كسيِّدة بل كخادمة لحساب غيرها

٭

قلنا انَّ الولايات المتَّحدة استأنفت خطَّ الشركة الفرنسويَّة من كولون مدينة اوقيانوس الاتلنتيكيّ في بحر انتيل الى پناما على الاقيانوس الهادي. وكذلك عقدت مؤتمرًا دعت اليه مهندسي الدول مع مهندسي بلادها وقرَّرت ان تجعل الترعة ذات حواجز لئلَّا تحتاج الى حفر الجبال حفرًا عميقًا لتسوية الترعة مع سطح البحرين. وقد تعهَّدت ان تنجز العمل في غاية سنة ١٩١٥ او غرَّة ١٩١٦. ومنذ اليوم تتنافس مدينتا سان فرنسيسكو واورليان الجديدة في الحصول على شرف انشاء معرض عموميّ للاحتفال بنجاز المشروع. ولكن هل تتمّ يا تُرى تلك الترعة في هذا الموعد فانَّ كثيرين من الاقتصاديين يشكُّون في قرب نجاز العمل . وممَّا كتب احد زوَّار الترعة آخرًا الى البشير ( في ٣٠ ك١ ١٩١٠ ) أنَّهُ يرتاب في كون الترعة تتمّ قبل ١٢ سنة ( اعني قبل سنة ١٩٢٢ ) لقلَّة المال واخبر انَّ الملازمين صرفوا في ايلول نحو الف من الفعلة لنفاد الاموال المعيَّنة للسنة. وقد اطنب هناك في وصف پناما ووصيفتها كولون وترقّيها وكذلك اشار الى تقدّم المدن الصغيرة التي وجدها في طريقهِ بين

كولون وبناما وقطع تلك المسافة بساعتين ونصف. ولا عجب من هذه المشاقّ لانّ برزخ بناما ليس كترعة سويس فانّ هذه كانت تتركّب من الرمل والحصى امّا تلك فتجمع ضروباً من العوائق التي جمعتها الطبيعة في المسافة الفاصلة كولون عن بناما كما يستدلّ على ذلك المتبر لخارطة اميركة الوسطى فانّ هناك سلسلة جبال شاهقة ترتفع الى السحاب في غربيّ قارّتي اميركة وتصل بين جنوبها وشمالها فتنعقد في وسطهما . اعني جبال كورديلار الأَند جنوباً والجبال الصخريّة مع سيارّا نِفادا شمالًا . فتلك عقدة لا يسهل قطعها وان كان عدد العملة الذين يشتغلون في ذلك اشبه بعسكر اذ لا يقلّون عن ٢٥,٠٠٠ فاعل يعينهم في ادراك غايتهم عدد لا يُحصى من الآلات المستَحدثة الهائلة المنظر السريعة العمل منها للقطع ومنها للنحت ومنها للثقب ومنها للتفتيت تزيدها قوّة عوامل الهواء المضغوط والكهرباء.

وقد بلغ العمل هناك الى اشد نقطة صلابةً فترى الآلات الثاقبة يضغطها الهواء فتنطح الصخر وتهيّئ الاثقاب للغوم التي توقد فيها فتنفجر طول النهار ولاسيما في ساعة اكل الفعلة اعني الساعة الحادية عشرة صباحاً والسادسة مساء حيث تصمّ الآذان لدويّ انفجارها . واذا تفتّت الصخر ترى الجارف الميكانيكيّة في ذهاب واياب تنقل كلّ مرّة اربعة امتار مكعّبة من الردم ويقال انّ ما نُقل حتى الآن من هذه الانقاض ( التعزيل ) يبلغ قدرهُ ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ متر مكعَّب وقد بقي نحو ٨٥,٠٠٠,٠٠٠ . هذا اذا تابع الشغل على حالتهِ القانونيّة ولم يحصل شيء من الانخسافات وانهباط القطع الجبليّة لا سيما في الامكنة الصلصاليّة التي عند كولبرا. وكذلك لا يعلمون حتّى الآن الى ايّ عُمق يجب الحفر لوضع اساس خزّان او سدّ غاتون (Gatun) الذي قدّروا عرضهُ ٤٥٠ مترًا وطولهُ ٢٤٥٠ م بحيث يمكن اصطناع بحيرة تكسيرها ضعف بحيرة ايطالية الكبيرة (Lac Majeur) ليجمعوا فيها المياه العرمرميّة التي تسيل من ريو شاغرس . وكذلك لا يُعلَم ما سيحصل من الطوارئ بقرب مدينة بوكا (Boca) حيث يشتغل العَملة في ازالة جبل بتمامهِ ليستمدّوا منه الموادّ اللازمة لابنية القناة اذ هناك سيصير المرفأ الكبير ومدخل السفن من جهة البحر الهادي وكذلك من جهة بحر الانتيل في الاوقيانوس الاتلنتيكيّ عند مدينة كرستوبال قريباً من غاتون

وقد سبق انَّ هذه الترعة ليست متساوية السطح مع البحر لكن ذات "حواجز وستكون الحواجز توأميَّة ليتسنَّى مرور باخرتين معاً ذاهبةً وآتيةً بحيث تُصعَد السُّفن شيئاً فشيئاً الى علوّ ٢٨ متر ويُهبط بها كذلك. وطول الترعة سيكون ٦٤ كيلومترًا واقلّ عرضهِ ٦٢ مترًا (١. والحواجز التوأميَّة في ستَّة امكنة ثلاثة منها عند غاتون من جهة بحر الانتيل. والثلاثة الأُخر من جهة الاوقيانوس الهادي عند بدرو ميكال (Pedro Miguel) وميرا فلورس (Miraflores). وكلّ حاجز يكون طوله ٣٠٥ امتار في عرض ٣٦ مترًا بحيث تستطيع اكبر السفن التجاريَّة كسفينة موريتانيا حالًا والدوارع الحربيَّة من جنس الدريدنوتس ان تمرّ بها

ولمَّا كانت ترعة بناما ملكاً للولايات المتحدة كما مرَّ الى حدود ثمانية كيلومترات من على ضفَّتيها مع جزائر الخليج ففكَّرت للحال بتحصين مدخلها من الاوقيانوسين. ففي ايار من السنة المنصرمة قدَّم كاتب اسرار الوزارة الحربيَّة جاكوب ديكنسون لرئيس الولايات المتحدة المسيو تافت رسماً فيهِ صورة التحصين باعظم ما يُعرف من ادوات الحرب ولعلَّ خوف الولايات المتحدة من اليابان حملها على اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة. ففي نيَّة الحكومة الاميركيَّة ان تجهّز الجزائر الواقعة على خمسة عشر ميلًا من البرّ بثلاث بطاريات وتعضدها بمدافع اخرى على مدخل القناة. وكذلك ستجعل بطاريَّة أُخرى في داخل القناة على مسافة ستة اميال من البحر للدفاع عن حاجزي ميرافلورس وبدرو ميكال ثم تشيّد من جهة الاتلنتيك مركزًا للجند على جبل كوليبا وتجهّز جبل البوشو (El-Bocho) ببطاريات محملها ٦٠ مدفعاً. وقد طلب المستر تافت ان تخصَّص لهذا التحصين مبالغ يكون مجموعها ١٢,٤٠٠,٠٠٠ دولار. هذا فضلًا عمَّا يقومون بهِ من التحصينات في كوانتانامو في جزيرة كوبا حيث يجعلون اسطولًا عند مدخل بحر انتيل لمراقبة العدوّ. فترى من كلّ ذلك انَّ اميركة اذا نوت امرًا لا يثني عزمها في تنفيذهِ شيءٌ من العوائق

---

١) يبلغ طول قناة سويس ١٦٣ كيلومترًا اي ضعفي قناة بناما ونصف. الَّا انَّ ترعة سويس متساوية سهلة الحفر وامكن المهندسين ان ينتفعوا من البحيرات المرَّة (les Lacs Amers) ومن بحيرة تمساح. وعرض ترعة سويس في سطح المياه من ٦٨ الى ١٠٠ متر وفي قعرها ٢٢ م. امَّا عمق الترعة فثمانية امتار و٥٠ س. وعلى جوانبها ١٣ محطَّة

# أيها الدين

أذاعَ رجالُكَ السرَّ المَصونا ... فأبدَوا غامضاً وجلَوا يقينا
وأنضوا سترَ اوهامٍ وكانت ... تُخيّلُ خلفَهُ الدنيا مُجونا
وتنشرُ من خلاعتها ضروباً ... وتُظهرُ من مساوئها فنونا
مشاهدُ حارتِ العُقلاءُ فيها ... وكانوا الناظرينَ السامعينا
عهدتُكَ الذي يُغضي ويعفو ... اذا كانت عيوبُ المذنبينا
وصوّاناً مكانُ السرِّ منهُ ... مكانَ الروحِ ممّن يحيونا
وانتَ تقولُ صفحاً عن مُسيءٍ ... ورفقاً بالعبادِ الساقطينا
وان عثرَ الرفيقُ فأنجدوهُ ... ومُدّوا الى إقالتهِ اليمينا
فهل غيّرتَ هاتيكَ السجايا ... وبدّلتَ الطباعَ وما دَرينا
وهل حوّرتَ تعليماً قديماً ... تناقلَهُ العبادُ الأوّلونا
أم أغضبتَ رجالكَ واستفاقت ... تُناصبُ شيعةً وتصونُ دينا
وتقطعُ فاسدًا وتلمُّ شعثاً ... وتضربُ عائثاً ثغرَ الحصونا

*

فلا واللهِ ما عارضتَ قلباً ... لغيرِ الحقِّ يرفضُ ان يدينا
ولا تُشبِهُهُ في وجهِ قومٍ ... يذوبُ الى عناقهمِ حنينا
وكنتَ ولا تزالُ حصينَ صدرٍ ... كتومَ السرِّ صوّاناً امينا
تلينُ متى رأيتَ اللينَ يجدي ... وتأبى مع التحاملِ ان تلينا
ولكنَّ العدوَّ يُريكَ شرّاً ... ويطلبُ منكَ ان تغضي الجفونا
ويُضرمُ في زروعِ بنيكَ ناراً ... وان قاومتَ سمّاكَ الخؤونا
وتُشبعُ كفُّهُ خدّيكَ صفعاً ... ويأملُ ان تقولَ له : رضينا
ويسألكَ التساهلَ او يسيءُ ... رجالُكَ كلُّهم متعصّبينا
يروغُ وان شعرتَ بهِ ينادي ... رويدكَ قد اسأتَ بيَ الظنونا
ويبذرُ فتنةً ومتى استطالت ... يقولُ بنوكَ كانوا البادئينا

واتباعٍ له احتبروك سُدًا ... يشِطُ عزمة المتمدنينا
قتلتَ بوجههم باب الملاهي ... وقتَ تناوشُ المتهتكينا
فسامُوكَ العداوةَ واستكاموا ... الى اميالهم مستعبدينا
فقلبُهمُ لتلكَ ليسَ يصغو ... ومثلُهم بشرعكَ لن يدينا
يقولونَ السياسةُ لا توالي ... أناسًا اصبحوا مُتوحدينا
حقوقَ الدينِ تنحَسُهم وتُبقي ... لنا الدنيا فهلّا ينصفونا ؟
وان وقعوا بمُضنَةٍ أفاءوا ... اليكَ واقبلوا متسابقينا
وقالوا تحسُنُ الدنيا وتزهو ... اذا ما الدينُ كانَ لها قرينا

*

فيا عجباً من الدنيا ومنهم ... اناسٌ بالتقلبِ حيّرونا
فقد نُحنا فلم يبكوا وقنّا ... ندقّ فلا نراهمُ واقفينا
ومن شرّ المصائبِ أن تُصافي ... عدوًّا ليس يُخلصكَ اليقينا
حللنا منهمُ مَنًّا وان لم ... يحكّمُ في القضيةِ منصفونا
كمذبوحٍ بسيفِ الظلمِ راضٍ ... ولا يرضى الجناةُ القاتلونا
صبرنا على أذاهم فاستحلّوا ... دماءَ رقابنا متشفّينا
وكانوا كالبُغاثِ فطارَ منهم ... زعانفةٌ غدوا مستنسرينا
فصدَّتهم زعازعُ هائجاتٌ ... تُعيدهمُ بأرضكَ مدقعينا
وشُهبٌ من بُزاةِ العلمِ اضحوا ... زرازيرَ الضلالةِ صائدينا
كشفنا منهمُ سرًّا وكانوا ... له بينَ الاضالعِ صائنينا
وقد فسدت طويّتهم فاسوا ... باصنافِ الفواحشِ ناضحينا

*

ولسراةِ الظلامِ بها تنادي ... على رأس الملاِ متصرّحينا
فكيفَ يجوزُ سترُ السرّ يوماً ... اذا ما كانَ فحشًا او كمينا
وبزلقةٌ لاقوامٍ وُجدنا ... فحرس منهمُ حبًّا ودينا
وأنّى صحّ طمرُ مخبّآتٍ ... يكونُ نتاجها داءً دفينا
ودفنُ مفاسدٍ برؤوس قومٍ ... إلى قالَ السلطُ يرضخونا

وَدَسُّ خناجرٍ بصدور شعبٍ ... تخرقها وتحملها جفونا
وتركُ الأفعوانِ لدى فراشٍ ... ليسهرَ في الرقادِ على بنينا
واخفاء الشرارةِ في هشيمٍ ... ونجلسُ فوقهُ متطامنينا
فلا وابيكَ هذا شرُّ فعلٍ ... يقتّبرُ عنهُ جهلُ الجاهلينا
ويتركُ كل ملتفتٍ اليهِ ... كسيرَ القلب مبهوتاً حزينا
أما واللهُ يأمر ان نُجافي ... أنا نَجُبّ ونطرحُ الزَّمينا
ونقطع كل عضوٍ فيهِ داءٌ ... مخافة ان يضر السالمينا
فلا اسفٌ على نفرٍ تهاووا ... باطباق الجهالة ساقطينا
مَحَضْناهم كثيرَ النصح بُقيا ... عليهم فاستمرّوا تائهينا
وهزَّ الدينُ فوقهمُ حساماً ... فكان كمن يخاطب مائتينا
لقد عقّوا اباهم واستهانوا ... بامٍ تلطمُ الخدَّ الحزينا
وقاموا يُنذرونَ بني ابيهم ... باهوالٍ تُشيبُ المُرضعينا
سلاحهمُ التعاضد والتآخي ... وجندٌ في الشرورِ مجرّبونا
تقودهمُ الغباوة حيث شاءت ... وأنّى شاء جهلٌ يتزلونا
يرونَ الفوزَ طيفاً في منامٍ ... فيقضونَ الحياة معلّلينا
تشدُّ ذراعهم آراءُ حيفٍ ... تردّدُ في مسامعهم طنينا
اذا التأمتْ جموعهمُ وأبدت ... مُناجزةً وحددتِ القرونا
وحرّشها التشاغنُ واستفزّت ... يناطحُ وعلُها الصخرَ المتينا
ويبصرُ من رجال الدين قوما ... يخوضونَ المعامع ظافرينا
لشقِّ غبارها خُلقوا وكانوا ... لمثلِ اليوم يطوونَ السنينا
يفدّونَ الحقائقَ بالعوالي ... وبالارواحِ ايماناً ودينا
فإن قعدوا تُقيمهمُ نفوسٌ ... ابيّاتٌ تقيمُ القاعدينا
تعودُ بهم الى العصر الخوالي ... وايامِ الجدودِ الاوّلينا
الى وقتٍ به اجتمعتْ ملوكٌ ... تُبيدُ الدينَ والحقَّ المبينا
فسادَ وعادَ من حضَروا بفوزٍ ... بمعركِ رحى عصابتهِ طحينا

*

ألا يا ايها الدينُ الذي لم … تُهوّنْه دعودُ الكافرينا
وكانَ بمهدِه طفلاً فأبلى … ودانَ له الطُّغاةُ المارقونا
أيجملُ بعدما اشتدّيتَ زندًا … بقومِكَ والزعاقِ المُفلحينا
أيحسُنُ ان يُسامَ بنوكَ خسفًا … ويرضوا بالمهانةِ صاغرينا
أيجدرُ أن ننامَ على هوانٍ … ونحملَ جورَ قومٍ عيّرونا
ونحنُ المدركونَ لنا لونا … ونحن الى المغانمِ سابقونا
ونحن الكاشفونا الضيمَ عمَّنْ … أقرّت فيهمِ الأيامُ هونا
ونحنُ المحسنونَ الى عدوٍّ … ونحنُ لدى المصائبِ مفاخرونا
ونحنُ العاملونَ وهم أناسٌ … أماتتهمُ الخمولُ ويدّعونا
وفينا العلمُ علمُ الحقِّ يمحو … ضياءُ جبينِهِ الجهلَ المشينا
حسامُ اللهِ يحمله كماةٌ … مُجرّدُ للصروفِ متى غشينا
ندكُّ بهِ حصونَ الكفرِ دكًّا … وننقضُ عزةَ المتشامخينا
ونشحذهُ لشيطانٍ مضلٍّ … يدوفُ لنا بوردِ الصدقِ طينا

*

رويدكَ ايها الدينُ المفدّى … بأنفسِ اهلكَ المستقتلينا
يريدُ بقومِكَ الظلّامُ سوءًا … وربُّكَ لا يحبُّ الظالمينا
ويطلبُ منكَ اهلُ البغيِ ثمرًا … فلا واللهِ ذلكَ لن يكونا
تُميدكَ أن تُمسَّ ولا نروّي … رُباها من دماءِ المفترينا
وُلدنا في حماكَ وما عرفنا … بأنَّ لنا سواكَ ابًا حنونا
تعهّدنا رجالُكَ فاستقينا … وحبُّكَ والفضيلةَ أُشربونا
فيأبى اللهُ ان ننسى جميلًا … ونأبى ان نكون الغامطينا
نبجتَ لنا الطريقَ الى المعالي … نجوزها بهديكَ آمنينا
رأينا منكَ اشفاقًا وإنّا … لنُخلصكَ المحبةَ ما حيينا
فمُذ يحميكَ انصارٌ كرامٌ … تقومُ بهم حدودُ اللهِ فينا
تتيهُ بفضلهم عزًّا وتلقى … ببيتوسَ رأيهم شيخًا ركينا
يقولُ وليسَ معترضٌ ويقضي … فنقبلُ الاوامرَ راضخينا

ويُعطِرُ نصحهُ بصدورِ شعبٍ فينعشُ ضمنها ديناً مكينـا
نحدِّثهُ عن الاجدادِ إرثاً ونورثهُ اذا متنا بنينـا
نخشُّنا على القلوبِ بهِ وهذا شعـارُ بنيكَ أخي يظهرونا
وصبغةُ كاهنٍ ان شئتَ يُدعى بحِلْ الفخرِ خادمكَ الامينـا

الخوري الياس الحايك

# قانون

## الوزير الاعظم في خلافة بني عثمان

### للطفي باشـا وزير السلطـان سليمان الكبير

## توطئة

بين المخطوطات التي خلَّفها الاديب الحلبي والكتبي المرحوم احمد وهبي فحصلت عليها مكتبتنا الشرقيَّة بعد وفاتهِ كتاب نفيس عنوانهُ « قانون بني عثمان » مجلَّد بجلد اسود متين على صفحتيهِ ولسانهِ نقوش ذهبيَّة طولهُ ٢٢ سنتي في عرض ١٤ س وهو يتألَّف من ٢٩ صحيفة ومكتوب بخطّ مُشرق غاية في الوضوح على ورق صقيل. واسم المؤلف لم يُذكر لا في صدر الكتاب ولا في اثناء الكلام وعلى ظنّنا انَّهُ الكتاب التركي المرقوم في مكتبة فينّة عاصمة النمسة بعدد ١٨١٨ (Flügel : *Die arab., pers. u. türk. HSS. z. Wien*, III, 252) والمدعو هنـاك « قانون نامه احمد خان » اي قانون السلطان احمد الاوَّل الثالث من السنة ١٠١٢ الى ١٠٢٦هـ (١٦٠٣—١٦١٧م) « من جمع موذن زاده عين علي بإشارة الوزير مراد للسلطان احمد خان ». وقد جاء في آخر نسختنا العربيَّة ما نصُّهُ الحرفي :

« وكان الفراغ من نسخها في اثنين وعشرين يوماً خلت من شهر ذي الحجَّة الحرام ختام سنة تسعة واربعين ومائة والف (١٧٣٧م) على يد العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي لطف ربّهِ القدير خليفة ابن احمد بن محمَّد غفر الله لهُ ولوالديهِ ولجميع المسلمين الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين امين »

والكتاب قسمان مختلفان القسم الاوّل ( ص١ — ٧٤ ) يتضمّن قانون بني عثمان ونظام دواوين دولتهم سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩م ) يقال فيهِ انَّ المؤلف قضى « مدَّة في خدمة امانة الدفتر الخاقاني » واطَّلع على امور الدولة فجمعها في رسالة واهداها الى مراد باشا. والكتاب يُقسم الى اربع مراتب: « المرتبة الاولى في حصر العساكر المنصورة الخيَّالة والمشاة ايش عدَّتهم وايش قدر لهم من العلوفة وايش يخصُّهم من الوظائف يومي وسنوي. والمرتبة الثانية في معرفة عمارة البحر وما فيها من الرؤساء واللاوند والترسخانة وايش قدر وظائفهم. المرتبة الثالثة في بيان حاشية الملك نصره الله الذي لم يفارقونهُ (كذا ) سفرًا ولا حضرًا. المرتبة الرابعة في معرفة الاغاوات والذين يأخذون الشاهرات والغلمان الذي ( كذا ) داخل السرايا العامرة وكم تكون عدتهم ». ثمَّ يقسم كلّ مرتبة الى فصول ويتتبع وظائفها رتبةً رتبةً وايالةً ايالة حتّى وظائف كتاب الدواوين والاطبَّاء والمنجمين والبازدارية والخدّام والخيَّاطين والطبَّاخين وجميع اهل الحرف. امَّا القسم الثاني وهو الذي احببنا نشرهُ هنا فاسمهُ في التركيَّة « آصف نامه » وهو يحتوي قانون الوزارة العظمى وضعهُ الوزير الاعظم لطفي باشا. فالمذكور كان متجنّدًا في العساكر الهمايونيَّة ثمَّ تقلَّب في الرتب حتى رُقّي الى منصب بكلربك اي رئيس الضبَّاط ( Capitaine des gardes ) بعد مصطفى باشا وقُلّد الوزارة ثمَّ أُرسل بصفة سرعسكر اي كبير القوَّاد الى محاربة البندقيَّة في مقاطعة پولية ( La Pouille ) وجزيرة كورفو. ثمَّ تغيَّر عليهِ السلطان مدَّة فعزلهُ ولمَّا توفّي مصطفى باشا سنة ٩٤٥ هـ ( ١٥٣٨م ) نصبهُ مكانهُ بصفة وزير ثانٍ حتّى تصدر في الوزارة العظمى الى السنة ٩٤٨ (١٥٤١) فأُحيل على التقاعد وتوفي بأجلهِ بعد قليل سنة ٩٥٠ ( ١٥٤٣ ). وللطفي باشا بعض كتب ألَّفها بالتركيَّة منها كتاب « قانون نامه' عثمانيَّه » ذكرهُ الحاج خليفة في كشف الظنون ( ٤ : ٥٠٢ ) ولعلَّ بينهُ وبين كتابنا الموصوف آنفًا علاقةً. ومنها كتاب تواريخ آل عثمان منهُ نسخة في مكتبة ڤينّة. وكتاب المسائل في الفروع ذكرهُ الحاج خليفة ( ٣ : ٥٣٩ ). وهذا الكتاب « آصف نامه » الذي منهُ بالتركيَّة نسختان في ڤينَّة ( Flugel, II, 78 et 226 ) امَّا الترجمة العربيَّة فهي بسيطة قريبة من اللغة العاميَّة كثيرة الالفاظ التركيَّة تركناها على اصلها وقد اصلحنا فقط بين هلالين بعض اغلاطها ل. ش

## (الصفحة 75) قانون لطفي باشا

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيّد المرسلين
وحبيب رب العالمين سيّدنا محمد صلعم

اما بعد يقول راجي عفو ربّه القدير لطفي باشا الوزير بأني خادم الدولة العثمانيّة من عصر المرحوم بايزيد خان (١ وصرتُ غرس نعمتهم وداعي دولتهم. ولمّا كنتُ في الحرم الخاصّ في الداخل بعون الله تعالى حصلتُ غاية المعرفة والكمالات. وفي جلوس السلطان سليم (٢ طلعتُ من الجوخدارية (٣ الى الخارج بخمسين عثماني (٤ مترقّقة. ثم بعده صرتُ جشنكير باشي (٥ ثم قبوجي باشي (٦ ثم مير علم (٧. وبعده يسّر (الله) لي سنجق قسطموني (٨. ثم بعده بكلربكيّة قرمان (٩. وبعده بكلربكيّة اناطولي (١٠ ثم بعد ذلك يسّر الله لي الوزارة العظمى في زمن السلطان سليمان (١١

وبعد خروجي من السراية العامرة عاشرتُ العلماء والفقهاء والصلحاء والظرفاء واصطحبتُ معهم وحصّلتُ جملة علوم ولمّا حضرتُ سلطان البرّين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين اعظم السلاطين واكرم الخواقين (١٢ ناصر عباد الله حامي بلاد الله

---

١) هو بايزيد الثاني تولّى السلطنة سنة ٨٨٦ (١٤٨١) الى ٩١٨ (١٥١٢)
٢) هو سليم الاوّل فاتح مصر والشام تولّى الامر سنة ٩١٨ (١٥١٢) وملك تسع سنين
٣) اي من جمهور الخدّام. اصلها من « جوخ » يعني الجمهور و« دار » لفظة النسبة
٤) العثماني احد النقود الحسابيّة الجارية في الدولة التركيّة كان كالقرش يتغيّر في عيده وقد اختلف ثمنهُ مرارًا
٥) الجشنكير او الجشنيكير هو الخادم الموكل بطعام السلطان والوزراء اصلهُ من « جشنى » يعني الذوق لانهُ يذوق الطعام قبل ان يقدّمهُ لمولاه
٦) القبوجي باشي الحاجب الكبير من « قبو » اي باب
٧) المير علم او امير العلم كان الحامل في الحروب راية رسول الاسلام
٨) السنجق اللواء والايالة. وقسطموني احدى ولايات الدولة العليّة
٩) البكلربك سيّد السادة يراد به الوالي الكبير ١٠) اي الاناضول
١١) هو سليمان الكبير المتولي السلطنة من السنة ٩٢٦ الى ٩٧٤ (١٥٢٠–١٥٦٦)
١٢) جمع خاقان وهو الملك

المغازي ( الغازي ) في سبيل الله السلطان سليمان أنعم عليَّ بالوزارة العظمى فرأيت تغيُّر في الديوان العالي بعض قوانين كنتُ اعهدها في الاوّل ( 76 ) فاحتجتُ اني وضعتُ وحرّرتُ هذه الرسالة لينتفع بها كلُّ من جلس بعدي في الصدر العالي من الوزراء ذوي المعالي وسمّيتها « آصف نامه »[1] حتّى اذ تقرّرت الوزارة على احد من الاخوان يعمل بها ولا ينساني من الدعاء ورتّبتُها على اربعة ابواب

الباب الاوّل كيف يحتاج حركة الوزير الاعظم وسلوكهُ واخلاقهُ وكيف تكون معاملتهُ مع السلطان

الباب الثاني في تدبير السفر

الباب الثالث في تدبير الخزينة

الباب الرابع في تدبير الرعايا

لمّا حصلت لي العناية الازليّة وتقلّدتُ الوزارة العظمى رأيت احوال الديوان العالي غير منتظم فشمّرتُ عن ساق الجدّ والاهتمام ورتّبتُهُ سبعة اعوام ثمَّ بعد ذلك بسبب غرض المنافقين لاسيا لاخلّص نفسي من كيد القساء ومكرهم ( كذا ) فرغتُ من الوزارة وتوجّهتُ الى ناحية ادرنة[2] الى الجفتلك[3] الذي لي هناك واقتُ فيهِ بالراحة وفراغ البال والخاطر ادعو الى الله سبحانهُ وتعالى باصلاح حالي واحوال العباد مع علمي انَّ هذه الدنيا سريعة الزوال وقريبة الانتقال فالعاقل الفطن اللبيب يكون ( 77 ) منها على حذر. ونسأل الله الكريم المنّان ان يحفظ ملك بني عثمان من اخطار الزمان وعين كلّ حاسد وشيطان

## الباب الاول

### في آداب واخلاق الوزير الاعظم
### وكيف يحتاج ( ان ) يكون وكيف تكون معاملتهُ مع السلطان

اقول وبالله التوفيق بان يحتاج كلّ من ولي الوزارة المذكورة ( ان ) لا يكون عندهُ غرض الى احد. وكلّ شيء يفعلهُ يقصد بهِ وجه الله تعالى ويكون عملهُ لله في

---

١) « آصف نامه » اي كتاب آصف اشارة الى حكمة آصف الذي زعم العرب انهُ كان وزيراً لسليمان يجاري سيّده حكمةً

٢) ادرنة هي حاضرة الروملي (Andrinople) ٣) الجفتلك هو البستان وارض الحراثة

الله لأن ما فيه (لانه لا يوجد) منصب اعلى من درجة الوزارة حتى انه يرقاه (يرقاها) ولا يكتم كلمة الحقّ ويقولها قدّام الملك كما هي. والامور التي تقع بين الوزير والملك يحتاج انها (ألا) يظهر عليها احد حتى ان الوزراء ايضاً لا يشعر (كذا) عليها

ونورد حكاية مناسبة الى هذا المعنى وهو انّ في زمن المرحوم سلطان سليم العادل الغازي (الغزي) كان أُطلع على عقل بيري باشا (١ الدفتردار وراه اعلا لوزارة العظمى فقلّده اياها . فيوم (فيوماً) من الايام وقت العصر استدعاه الملك لاجل المشورة على امر خفيّ فامتثل الامر الشريف ودخل الى السراية العامرة واجتمع بالملك وبعد فراغهم من المشورة عاد الى الديوان فسأله مسيح باشا (٢ احد الوزراء قائلاً لهم (له): في اي شيء احتاجك الملك ولأيّ خصوص ارسل (٪٧) طلبك ؟. فسبب تهجّمه على مثل هذا السؤال ومشاهدة قلة الادب منه كسر حرمته واراد ان يعرض الى الملك في عزله فتشفعوا فيه بقيّة الوزراء حتى انه عفا عنه

واماً الذي يجب على الملك (فان) لا يكثر الفرح والاختلاط مع الندماء والمصاحبين وحقيق انّ الملوك ما (لا) تكون بلا ندماء لكن لا يكثر من الخلطة معهم . ويجب على الندماء ايضاً اذا حصل لهم التفات من الملك (ان) يقتنعوا بالذي يعطيه لهم وبالخلع السنيّة ولا يقارشوا (٣ امور الناس بل يكونوا في صالح نفسهم . ويجب على الملك اذا عرض له الوزير الاعظم في امر ان لا يسفّهه ولا يردّ كلامه

وايضاً الوزير يتفقّد حاشية الملك ويعطي كلّ احد منصب (منصباً) على حسب مقامه حتى لا يحتاج الى احد . ويكون مثل الطبيب الحاذق الذي يعطي لكل احد دواءه على قدر مزاجه وفي المحاربة اذا شاهد شجاعة من احد في طائفة العسكريّة يرقّيه ويزيد وضيفته (وظيفته) . ولا يعطي الى جماعته واتباعه زعامات (٤ بل

---

١) بيري باشا المذكور صار بعد ذلك وزيراً اعظم في ايام السلطان سليمان الكبير وصحبه في حرب بلغراد سنة ٩٢٧ (١٥٢١) ثم عزل من منصبه سنة ٩٢٩ (١٥٢٣)

٢) مسيح باشا خدم محمّد الثاني فاتح القسطنطينيّة فاتخذه كوزيره الاعظم وارسله الى رودس ليفتحها فلم ينجح وعُزل . كانت وفاته سنة ٩٠٦ (١٥٠٠)

٣) من الالفاظ العامّيّة . مأخوذ من قولهم « قرّش بين القوم » اذا حرّش واغرى

٤) الزعامة في عرف اهل ذلك الزمان الملوكة والاقطاعة (fief)

يكافيهم بالتيارات (١ وان اعطاهم يكون اعطاؤه لهم شيٌ (شيئاً) يسترُ دَمَقهم ولا يعم سيفين (٢ وثلاثة الى بعضها ولا يعطي اولاق (٣ امر (امراً) لاجل تغيير دولب (79) في الطريق الـذي قاصدهُ من خاصات الدفتردار (٤ والتيشنجي (٥ لأنّ ما في حكم بني عثمان اوخم ولا انجس من قضيّة الاولاق وهلاكهم (وإهلاكهم) لدولبَ الناس بل اذا كان امر مهمّ لاجل اصلاح امور السلطنة العليّة اذا أُعطي اولاق امر (امراً) ما فيه بأس لأنّ بهذا الشيّ تحصل راحة الى الفقراء من تسليط الاولاق عليهم وأخذ دوابّهم وإهلاكها . وفي حال وزارتي وضعتُ في غالب المنازل دوابّ برسم الاولاق

وكذلك اذا وقع شيٌ لبيت وما يوجد له وارث يحتاج ان يُحطّ على طريق الوديعة في الابواب الى ان يظهر لذلك الرزق وارث فان طالت المدّة وما ظهر له طالب يبقى يوضع في الخزينة . والفقير في زمن وزارتي اذا وقع رزق ميّت أُبقيه سبع سنين في الامانة الى ان يظهر له وارث اضيفهُ (والاضيفهُ) الى الخزينة لأنّ خلط اموال الناس بالظلم الى الخزينة السلطانيّة من غير وجه دليلٌ على زوال ذلك الملك

وينبغي ان يولّى على طائفة القول اغا (٦ ضابط يكون صاحب معقول . وكذلك كتخدُهم يكونوا اهل فهم وفراسة ويوصيهم في ضبط العسكر لانهُ اذا كان العسكر مضبوط (مضبوطاً) يحصل راحة للوزير

ويجب على (الوزير) الاعظم ان يُفهم (80) الملك عن كلّ شيّ فيه صلاح الدولة والسداد ولا يتوقّف في ذلك ولا يتوهّم من عزل ولا من غضب اذ اظهر كلمة الحقّ . ويكون مواظب (مواظباً) على الصلاة (الصلوات) الخمس في الجمعة في منزله . ويكون بابهُ مفتوح (مفتوحاً) لاجل مصالح الناس ويكون الاجتماع به سهل (سهلاً) غير عسير . ولا يكون عندهُ غرض بل يكون دائماً في تطييب خواطر الناس

---

١) اي يكافئهم والتيمار معاش يُعطى خصوصاً لقدماء الجند لا يتجاوز عشرين ألف عثماني

٢) يُراد بالسيف الولاية ٣) الاولاق الخيّال صاحب البريد ٤) كانت وظيفة الدفتردار ان يجمع مؤونة الاستانة ٥) التيشنجي والشانجي هو كاتم الدار وصاحب الختم الشاهاني

٦) القول آغا اي القول اغاسي هو رئيس البريد والضابط المتوكل على الحرس

ويحتاج اذا وقع خائن او سارق لا يفديهِ بمال بل يقاصصهُ (يقاصُّهُ) على قدر جرمهِ لانَّ الرشوة الى اصحاب المناصب مرض من غير علاج. ولمَّا اذا احدًا (احد) من محبيهِ ذوي الاقتدار هاداهُ بشيء له (فلهُ) ان يقبلهُ. بِر لمَّا الرشوة والبرطيل والعياذ بالله امر (فأمر) مشكل وداء ما له دواء.

والوزير الاعظم خاصة المختصّ بهِ (١ اثنا عشر كرَّة (٢ يدخل لهُ منهُ مقدار عشرين حمل (حملًا) ويجيئهُ هدايا من امراء الأكراد ومارة (وإمارة) الاطراف شيء بجملين وثلاثة مثل خيل وقماش وغيرهِ فيكون مدخولهُ في السنة اربعة وعشرين حمل (حملًا). والفقير بحمد الله تعالى في ايّام الدولة العثمانيّة هذا الشيء رأيتهُ يكفي لأنَّ كلّ سنة لمطبخي ومهمَّات بيتي ولمصارفي خمسة عشر حمل (حملًا) ويتصدَّق (واتصدَّق) بخمس (بخمسة) احمال وخمس (خمسة) احمال توضع في خزينتي. ومن اموال الغنائم ومن البكلربكيّة (٣ (8٤) الذي اتحقَّق انهُ وجه حلّ مثل رسوم اعشار وكلّ شيء يجيئني اتصدَّق بهِ واصرفهُ الى وجه الخيرات. فالحمد لله الذي اكرمنا ومنَّنا. ولمَّا طريق الطمع فانَّهُ طريق قبيح ما له غاية وفي القنع غناية لانَّ القناعة كنز لا يفنى وفيها انواع المنافع اللهمَّ ارزقنا القناعة

ويحتاج الوزير الاعظم (ان) تكون اوقاتهُ في مهمَّات السلطنة ومصالحها ولا يليق له ان يتعاطى اللهو وسماع الآلات الطربية والاشتغال بها. ويحتاج ان يكون في المجلس ارباب المناصب كلّ من هو (كذا) يعرف موضعهُ ومقامهُ. لأنَّ البكلربكيَّة تحت الوزراء. ودفتردارية المال فوق السناجق (٤ واغاوات الركاب (٥ وكذلك آغة الينكجاريَّة (٦ الكبير. وبعدهُ مير علم. وبعدهُ قبوجي باشي (٧.

---

١) اي مدخلهُ ٢) الكَرُّ وزن اربعين اردبًا. اما الحمل فلا نعرف قدرهُ بالتدقيق

٣) البكلربك امير الامراء وكان هذا الاسم يطلق على اصحاب الولايات الكبار لاسيما الثلاث الممتازة الروملي والاناضول والشام

٤) السنجق والسنجاق العَلَم ويراد بهِ اللواء والمتصرّفيّة

٥) ويُدعَون الركابداريّة وهم الامراء الذين يسندون الركابات عند ركوب السلطان

٦) الينكجاريّة (Janissaires) فرقة كانت تقوم بحراسة السلطان. أُبطلت في عهد السلطان محمود الثاني سنة ١٨٣٦

٧) القبوجي باشي اي الحاجب الاكبر (Grand Chambellan)

وبعده مير آخور (١ . وبعده جاقرجي باشي (٢ وجشنكير باشي (٣ واغاوات البلوكات (٤ . واما الدفتردارية يجلسوا ( فيجلسون ) فوق الناشنجي . فان كان الناشنجي قديم متمين ( قديماً متميناً ) صاحب اشتهار له ان يجلس فوق الدفتردارية. ودفتردارية للمال والناشنجي متساويين ( متساويان ) في الجلوس مع القضاة والمدرسين ان كان بخمسين عثماني ( عثمانياً ) او بستين له ان يجلس ويتصدر . وباش دفتردار متساوى ( متساوٍ ) (82) مع قضات ( قضاة ) البلاد الثلاث . وكيخية (٥ الدفتردار يتصدر فوق المتفرقة (٦ والجشنكيرية . والساجق يتصدروا (يتصدرون) على اغاوات الركاب . والمدرسين (والمدرسون) يتصدروا ( يتصدرون ) على اغاوات الركاب وعلى الساجق . والمتولين ( والمتولون ) على تَوليات السلاطين يتقدموا ( يتقدمون ) على الجشنكيرية والمتفرقة

والكاتب مقدم على الجاويشية (٧ لانّ في زمن السلطان سليم وقع نزاع بين كاتب وجاويش فانعرضت القضية على السلطان فرسم انّ الكاتب يتقدم على الجاويش لانّ الكاتب في خدمة الامور الخفية والجاويش خدمته على الخارج . وكانت اليشكجارية تتقدم على الكتاب والروزنامجي (٨ . والمتفرقة له الذي بالعلوفة لا تنعطى الّا للذي يظهر من الحرم الخاصّ ولا تنعطى لاحد من الخارج او يكون ابن بكلربكي او ابن دفتردار (٩ . والذي ما تكون زعامته ثمانين الف عثماني لا يستحقّ ان يكون سنجق ( سنجقاً ) . وحدّ السنجقية لاربعمائة الف عثماني واغاوات الركاب يطلعوا ( يطلعون ) بثلثمائة وخمسين الف . وفي القانون ان يقوموا ( يقوم ) الوزراء للزعيم اجلالاً له . والزعماء غايتها الى الكاتب بخمسين الف عثماني . والجاويش باربعين الف عثماني . واذا أضيف (83) لهم الزيد يكون سبب قلة سيوف التيمارات

١) اي امير الاسطبل (Grand Ecuyer)
٢) هو صانع الحلويات
٣) اي رئيس السفرجية
٤) البلوك الفرقة من الجند
٥) الكيخية تصحيف كتخدا بمعنى القيّم والوكيل
٦) المتفرقة فرقة من العسكر كانت ترافق السلطان في اسفاره
٧) الجاويش الضابط العسكري
٨) هو المتولي الحسابات اليومية والاعمال الجارية
٩) هذه الفقرة لا تكاد تُفهم

اكثر كلام الوزير الاعظم الى الملك :« بادشاهم (١ انا شلتُ هـذه الحملة من رقبتي وتكأّمتُ الصحيح . في يوم القيامة انت اعطى ( أعطِ ) جوابهُ ». ويتقيَّد في استماع شكاوى النـاس في الديوان . واذا جاء ايلجي (٢ من مكان يحطُّ عليهِ بكجيَّةُ (٣ يُعتمَد عليهم حتى لا يطَّلع الايلجي على احوال السلطنة الواقعة . ويوصي البكجيَّة أنهم لا يدروهُ كثير ( يداولونهُ كثيرًا ) ويكون مجتهدًا في الاسعار ووضع ثمن كل شي . لاجل تمشية حال الناس في البيع والشراء .

ولا يعزل ارباب المناصب بسبب شكاية رجل او اثنين فاذا تكوَّرت الشكاوات ان كان على امير او على قاضي ( قاضٍ ) يحتاج ان الوزير الاعظم يكتب لهُ ( مكتوبًا ) يهدّدهُ وينصحهُ فان كان ما ينتصح ويتمّ مصرّ ( مصرًّا ) على عنادهِ وتكثر عليهِ الشكوجيَّة ينعزل من منصبهِ

ويحتاج انّ الوزير الاعظم يعامل كل احد بحسب مقامهِ ان كان اصحاب حسب او اهل معرفة وكمال ويراعي كلّ احد على قدر خدمتهِ ويعرف المستحقين والذي يتساهلوا ( والذين يستأهلون ) المناصب من هو مستحقّ ويوجه كلّ منصب لمستحقهِ . وان كان رجل من جملة الرعايا ولا قط صار ( 84 ) ابوهُ ولا جدّهُ سپاهي (٤ لا يليق بهِ الاسپاهيَّة لانَّ مثل هذا اذا انعمل سپاهي ينفتح باب ويصير غالب الرعايا ينهزموا ( ينهزمون ) ويروحوا يعملوا اسپاهيَّة والله اعلم

## الباب الثاني

### في تدبير احوال السفر

فاذا احتاج الامرُ الى سفر حَسَبُ ان يصير سردار (٥ ( سردارًا ) على العسكر رجل من الوزراء او من البـاشات ( كذا ) واذا صار في بعض الاوقات سردار ( سردارًا ) احد الـشاجق يمكن ان هذا الشيّ سيف ( كذا ) في القانون . وقبل

---

١) اي سيّدي الملك (Sire)
٢) الايلجي السفير الاجنبيّ ٣) يريد بالبكجيَّة شبه القوَّاسة
٤) السپاهي الفارس والخيَّال في خدمة السلطان وامراء الدولة
٥) السردار كبير القوّاد

الجميع يتدارك الخزينة والذخيرة بقدر الكفاية. وان كان الملك يركب بنفسه في ذلك السفر يحتاج ان الوزير الاعظم يجمع الدفتردارية وجميع ارباب الديوان ينظر ايش قدر يمتاز خزينة وعسكر وفي اي مكان تتجمع الذخيرة وتتهيأ

واما الذي يجب على السلطان بان (فأن) يُحضر امير آخور ويأمره في تدارك الخيل والجمال والبغال. وفي الطريق يحتاج ان يكون مع السلطان عزبة (١. وفي المنازل يحتاج ان يكون صيوان (٢ الوزير بعيد (بعيدا) مقدار (مقدارا) عن صيوان السلطان والسلطان يكون نوبة في وسط العسكر حتى يبقى العسكر محاط (محيطاً) به من الاربع جهات وخيام العسكر يكونوا بعيدين (تكون بعيدة) عن صيوان السلطان مقدار ميل (؟8) وقدام صيوان السلطان توضع خيمة الخزينة ويجلس الدفتردار يتعاهد الامور ومصالح المال في ذلك المحل

وفي القانون القديم ان السلطان يعطي للوزراء والى قضات (قضاة) العساكر وللدفتردارية والنيشنجي والى امين الدفتر جمال (جمالاً) تكفيهم لان هذا شيء مسطر في دفتر السلطان سليم لما فتح جلدرات (٣. وفي الطريق اذا السلطان طلب الوزير الاعظم يحتاج ان الوزير يسرع الى التوجه الى عنده. وكذلك بقية الوزراء وسائر ارباب الدولة اذا طلب السلطان واحد (واحداً) منهم يُسرع في التوجه لركابه الشريف. والقراوول (٤ في كل ليلة سنجق من السناجق يطوف باطراف العسكر طول الليل بحرسه من كبسة العدو.

وصيوان السلطان وحراسته كل ليلة على آغا من اغاوات البلوك. لان مما وقع في زمن السلطان سليم وهو متوجه الى ديار بكر ارسل شاه اسماعيل بعض جواسيس معروفين بالشطارة واوصاهم على انهم (ان) يهجموا على صيوان السلطان ويعطوه النار فاذا التهب الصيوان وطلع السلطان الى خارج الصيوان يضربوه بالسكاكين

---

١) العزبة فرقة المسلحين بالبنادق

٢) الصيوان ويقال سايوان الخيمة. من الفارسية « سايه بان » بمعناها

٣) كذا في الاصل والصواب چالدران احدى مدن ايران حيث السلطان سليم غلب اسماعيل شاه ملك العجم سنة ٩٢٠ (١٥١٤)

٤) القراوول والقراغول العسس والحرس

لجاوزوا بهذه الحيلة وانصرفوا وطلع من حقهم. فمن ذلك اليوم صار (86) كلّ ليلة يحرسهُ واحد من آغاوات البلوك

وفي محلّ الحرب لا يتقدّم الملك الى قدّام العسكر بل يقف خلف وقدّامهُ المدافع وآلات الحرب. وبعض الملوك اوضع في رجلين (ارجل) خيلهم القيود والمراد من ذلك حتّى ان الملك يتمّ واقف (واقفاً) ويقوّي قلب العسكر. ويكون عند الملك رجل مدبّر يأخذ بخاطرهِ ويبشرهُ على انّ النصر لهم. واذا الملك اعطى الى العسكر بخشيش (بخشيشاً) وقت الحرب بخلاف القانون ما فيهِ بأس. والذي يصير قشلقجي (١ على العسكر يكون ناصح ومستقيم (ناصحاً ومستقيماً)

وفي القانون (انّ) السلطان يعطي الى اليَنكشاريّة ذخيرة ستّة أيام ثلثة أيام في محاربة العدوّ وثلاثة أيام لمّا يطلعوا (يطلعون) من المحاورة (المحاربة ؟) لانّ السلطان سليم اعطى ذلك. ووقت الذي يقع الفتح الوزراء وقضاة العساكر والدفترداريّة يقبّلوا (يقبلون) ايادي الملك ويلبسوا (ويلبسون) الخلع مثل يوم العيد. والبكلربكيّة والسناجق وارباب المناصب الديوانيّة ايضاً يلبسوا خلع (يلبسون خلعاً). وبعض ارباب تيمارات السيف (٢ اذا قصد قلّة الرواح للسفر وكان تيمارهُ ستّة الاف عثماني يرسل مكانهُ مُلَبَّسَيْن. لكن هذا الشيء غير مقبول لانهُ يحتاج التيمار يذهب بنفسهِ الى السفر الّا ان مات او كان ضعيف (ضعيفاً)

ويحتاج في السفر انّ الخزينة تكون قدر ما هي مرّتين لأن ربّما يقتضى ان الملك يفرّق (87) على العسكر بخاشيش ويحتاج ان يوقف على محاددة (كذا) العدوّ حكام (حكّاماً) معروفين بالشجاعة ويوصيهم بالحفظ والحراسة. والسلطان لمّا يكون في السفر ويصل الى صيوانهِ يعمل عراضة (٣ مثل عراضة دخولهِ الى السرايا. ومثل تداركهِ في سفر البرّ يحتاج تدارك البحر لأنّها مهمّة

ومن بعض ما اتّفق ان المرحوم السلطان سليم الذي كان اكمل السلاطين

---

١) القشلقجي الموكول اليهِ ترتيب مواضع العسكر

٢) يريد بتيمار السيف الذي ينال من الحكومة معاشاً بشرط ان يذهب الى الحرب او يرسل جندياً عن كل ثلاثة آلاف عثماني في السنة

٣) يريد بالعراضة استعراض الجيش

واشجعهم الـذي فتح مصر والشام وفاز بخدمة الحرمين الشريفين قال يوم ( يوماً ) من الأيام لابن كمال باشا المشهور (١ : مرادي اعمـل الترسخانة (٢ عدد ثلثمائة حتّى انها تصير من الحصار الى كاغدخانة (٣ لانّ في نيّتي فتح افرنجة. فردّ له الجواب : ياملك الزمان انت مقيم في مدينة ولى ( التي ؟ ) تعشّها ( يعشّها ) البحر واذا ما كان البحر امان ما تسري بهِ مراكب ( كذا ) وما لم تسير المراكب وتعاود ما يحصل عمار الى اسلامبول (٤ ». فمع قضاء الله تعالى أَجلُ السلطان كان قد اقترب ومات ولم يتيسّر له الذي كان في خاطره. ولكن ملكنا الذي هو الآن صاحب العدل والاحسان السلطان سليمان خان له تقيُّد واجتهاد في احوال البحر ومهمّاتهِ. وفي أيّام دولتـهِ انتظمت احوال البحر واكثر همّتهِ الغزاة فيهِ

وفي الحقيقة عمارة البحر جناح آل عثمان الواحد. وعرضتُ على الملك نصرهُ الله « انّ السلاطين الماضية كثيراً ملكوا البرّ لكن قليل مَن ملك البحر وغيرنا ( 88 ) مجتهد في تدبير البحر اكثر منّا لكن يحتاج ان يكون تدبيرنا غالب ( غالباً ) على الجميع ». فكان جوابهُ : « كلامك صحيح يحتاج يصير مثل ما ذكرتَ فنصبتُ امين ( اميناً ) من جانب السلطنة العليّة لاجل مصارف البحر ». وكان كلامي انّ مهمّات البرّ ومصالح البحر نظامها ( نظامها ) وانتظامها يكون من الوزراء والامراء سيّما لبياض وجوههم. اللهمّ توكّلتُ عليك وفوّضتُ امري اليك انك على كل شيء قدير

## الباب الثالث

### في تدبير الخزينة

فاوّلًا تدبير الخزينة من مهمّات السلطنة لانّ السلطنـة لا تكون الّا بالخزينة والخزينة ما تجتمع الّا بالتدبير لا بالظلم لانّ في زمن وزارتي رأيتُ الخزينة مشوّشة

١) يُعرَف بكمال باشا زاده كان قاضياً على عسكر الاناضول واتّخذهُ السلطان سليم كجليسهِ واستفتاهُ . توفي سنة ١٥٣٦

٢) الترسخانه والترسانه دار الصناعة ومعمل الاسلحة

٣) الكاغدخانه معمل الورق . ولعلّ المراد انهُ يريد زيادة عدّة الترسخانة كعملة الكاغدخانة

٤) نظنّ انّ معنى الجواب ان يفضّل السلطان عمارة الاسطول على معمل الاسلحة لانّ الاستانة محتاجة الى سفن تؤمّنها من جهة البحر اكثر منها الى عسكر يحرسها في البرّ

وفي نقصان. ففي جلوس السلطان سليمان صارت الخزينة والمصرف بالسوية لم يفضل شيء وبعض السنين ما تكفي الخزينة وتكمل (ويُكمّل) المصرف من الخزائن العتاق التي (التي) في الخارج وهذا سبب اختلال المُلك لانهُ يحتاج ان يكون الدخول اكثر من المصروف حتى لا يصير نقصان لقانون السلطنة

وينبغي انَّ الوزير الاعظم دائماً يتفقَّد احوال الخزينة ويجتهد في زيادة الدخول اكثر من المصروف ولا يسعى في استكثار العسكر لأن اذا كان العسكر قليل (قليلًا) وعلى كلمة واحدة ويد واحدة انفع من كثير. ورأيت اذا كان العسكر (89) موجود (موجودًا) كما هو مسطور في الدفتر وكان خمسة عشر الف بعلائف ما هم قليلين (قليلون) واعطى مواجب (كذا) خمسة عشر الف رجل سنة بسنة شطارة زائدة

ويحتاج ان يفضل من مدخول الخزينة عن العلائف ومن مصرف السرايا والبحر والمطبخ والاصطبل. ويحتاج ان الوزير اذا نصب باش دفتر في الأول يختبر عقلهُ ومعرفتهُ وتدبيرهُ وكتابتهُ. وبعدهُ ينصبهُ في الديوان ويفوّض اليهِ امور الاموال والذي يجب على الدفتردارية ان لا يكون تابع هوى النفس ولا في طمع بل يكون متقيد (متقيدًا) في الاموال السلطانية

وممَّا وقع في زمن واحد من السلاطين انَّ ابراهيم باشا (١ (كان) غالب تقيُّدهِ في سرايتهِ وفي بساتينهِ وكرهتهُ الناس وآخر الامر في فتح بغداد رأوا الخزينة اختلَّت فبذلك السبب حلَّ عليهِ الغضب السلطاني

وايضاً يجب على الدفتردار ان لا يُعطي زائد (زائدًا) في المواجب (كذا) ولا يفرح (؟) بارباب التقاعد لكل بكلربكي ١٦٠ عثماني ولقاضي العسكر ١٥٠ عثماني والى كلّ وزير ٢٠٠ ع ولقضاة التخت لكل واحد ٨٠ ع ولكل سنجق ٧٠ ع وان صار تقاعد بالزعامة ١٢٠,٠٠٠ ع للوزراء و ٨٠,٠٠٠ ع للبكلربكية. وللدفتردارية (91) ٦٠,٠٠٠ ع وللسناجق ٥٠,٠٠٠ ع والذي يكون امكدار (٢ ومستحق

١) ابراهيم باشا هو احد كبار الامراء في عهد سليمان الكبير. استوزرهُ السلطان وجعلهُ من ندمائهِ وقلَّدهُ تدبير عسكرهِ ثم تغيَّر عليهِ وقتلهُ سنة ٩٤٣ (١٥٣٦م) بعد فتح بغداد

٢) الامكدار صاحب الهمَّة النشاط. تركية

( مستحقاً ) ينعطى مقاطعة بالامانة. ويجب على الدفتردار بانه قبل ما يوجه مقاطعة يتشاور مع الوزير ويعرض له بيعها. وخزينة مصر ١٥٠,٠٠٠ ذهب خرجية يجيب ( يجيب ؟ ) الملك. محصّل الكلام يحتاج ان يتفقّد احوال الخزينة كل سنة بسنتها.
اللهمّ يسّر البركة في السفر والحضر بحرمة سيّد البشر

## الباب الرابع

### في احوال الرعايا

اللازم على الرعايا اذا وقع سفر ان يطلع منهم الذي يطالب من رجال لمعاونة العسكر وحقيق انّ طائفة التترهم مطيعين ( مطيعون ) السلطنة العليّة لكن هم اهل طغيان. فلاجل ذلك لا يكلّفوا ( يكلفون ) السفر. ودفاتر الرعايا مضبوطة في الدفترخانة. وفي كلّ ثلاثين سنة يتحرّر. ويطالعوا (ويطلعون) من الدفتر الذي يكون مات ومن يكون مريض ( مريضاً ) وتنكتب غيرهم ويقابل الجديد على الدفتر العتيق حتّى لا ينقص عن الدفتر العتيق شيء

واذا هرب رعايا من مكانهم الى مكان آخر الظلم ( للظلم ) يحتاج انهم يردّوا ( ان يردّوا ) الى مواضعهم حتّى لا تخرب البلاد. ومعتاد من الرعايا ككجية (١ الى مراكب السلطنة ( ان ) يكونوا شباب ( شباباً ) قادرين من كل اربع خانات ككجيّ ومها خدم له من الخزينة كل يوم ٣٠ عثماني. واذا ظهر من احدى الرعايا خدمة زائدة ( ؟ ) واستحقّ التيار وصار لسباهي لا يحمي اقاربة. وايضاً اذا كان عالم ( عالماً ) لا تنحمى توابعه. وسادات الاشراف من بني هاشم خالطهم ناس كثير من جملة الخلق بزعمهم انهم اشراف. يحتاج انّ النقيب يتفقّد ذلك والذي يكون غير صحيح السبب يخرجه من بينهم ولا يعطى للرعايا وجه زائد. واذا كان لحد من الرعايا مالهٌ كثير لا احداً يتعارض له بماله. لكن لا تلبس الرعايا بزيّ الاسباهيّة والعسكريّة ولا يركبوا مثل ركوبهم

فهذا قانون الملوك السالفة رحمهم الله تعالى ونسأل الله الكريم ان يوفّقنا للخير والسداد انّه كريم جواد والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبيّ بعده

١) الكركجيّة من الترك اصحاب الشغل والعملة

# سياحة في اقليمَي الخرُّوب والشوف

بقلم حضرة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

طلب الينا بعض الاصحاب الذين طالعوا مقالتنا "سياحة اسقفيَّة في بلاد بشارة" التي نشرناها على صفحات المشرق ان ندوّن لهم خلاصة ما جرى لنا إثْر تجوُّلنا في ابرشيَّة صيدا بامر سيادة رئيس اساقفتها الجليل المطران بولس بصبوص لتفقُّد شؤون ابنائهِ الروحيين في اقليمي الخرُّوب والشوف من اواسط شباط ١٩١٠ الى مفتتح السنة الجارية فاجبنا اجابة طلبهم مع اعتقادنا بعجزنا عن ايفاء الموضوع حقَّهُ من البحث الدقيق فلنا الامل بأنهم يغضّون النظر عن قصورنا

١ من بيروت الى الجيَّة

كان سيرنا من بيروت في اصيل اليوم التاسع من شباط ١٩١٠ قاصدين قرى اقليم الخرّوب الواقع بين نهر الدامور المعروف عند الاقدمين بتاموراس (Tamyras) شمالًا ونهر الاولى (Bostrenus) جنوباً فركبنا العربة متوجهين الى قرية الجيَّة وكان المطر في ذلك اليوم يتهطّل مدراراً وتجري مياههُ كالسيول وكان حوذيُّنا يحثُّ الخيل بالسوط والزجر لتجري في طريق كثرت اوحالها وتبعثرت حصاها وتعاظمت حفرها وما زلنا نتقلَّب ذات اليمين وذات الشمال الى ان ادركنا صحراء الشويفات فخفَّ العناء. وسهلت الطريق نوعاً وانقطع المطر بغتة ولمَّا اجتزنا الصحراء ألوت بنا العربة نحو سيف البحر فكنا نسمع عن يميننا زمجرة الامواج تُصارع الصخور المجاورة لطريق العربة ونشاهد على شمالنا انجاد لبنان وعلى قممهِ الجميلة ومنحدراتهِ الثلاثة قرى مقاطعتي الغرب والشحّار فتذكّرنا ربوعاً اسعدنا الحظ بالتجول فيها ايام أوفدنا لهذا الغرض الطيّب الذكر سيادة المطران يوسف الدبس وحيَّينا عن بعدٍ ذاك الشعب المبارك الذي كنَّا انسنا منهُ شوقاً عظيماً لاستماع كلمة الله

وبعد ساعتين ونيف عن بيروت وقفت بنا العربة امام خان خلده قصد الاستراحة فجلنا بين بقايا العمد المضلعة والنواويس القديمة الشاهدة على مكانة خلده ايام كانت عامرة ولم نتمكّن من المكث طويلًا اذ نفحت إعصار فتشّص الغيم وارتمست

السماء. فأسرعنا الى العربة التي اخذت تعدو بنا نحو الجيّة ولانهيال الامطار لم يعد يوسعنا تسريح النظر في المناظر التي تتوالى على المسافر فعبرنا جسر الدامور وكان النهر تأطم وارتفعت امواجهُ المتعكرة حاملةً معها جذور الاشجار التي اقتلعتها في مرّها وبعد نصف ساعة تقريباً بلغنا الجيّة ووقفت بنا العربة وسط حديقة غنّاء بين صفّين من شجر الاوكاليبتس فترحلنا ودخلنا داراً قد اكتنفتها تلك الاشجار والقت عليها من ظلالها جلباباً وابدرنا بالتحيّة صاحب تلك الدار الفاضل عبدالله افندي البستاني شقيق المرحوم الابر الخوري يوسف البستاني كاتب لسرار ابرشيّة بيروت فتلقّانا مع عائلتهِ الكريمة بالبشر وانزلنا على الرحب والسعة

(الجيّة) على ما يقال اسم حديث زعموا انّ معناه التتانة اشارةً الى التتانة التي انبعثت من الحوت الذي كان ابتلع يونان النبي فقذف بهِ على ذاك الشاطئ ومات فانتن ولم نجد لهذا التأويل سنداً. وقريباً من الجيّة مضيق ورد ذكرهُ في تاريخ الصليبيين(١ قدموهُ «Passus-Daugiæ»

وعلى بعد بعض امتار من بيت عبدالله افندي البستاني مضيفنا بناية اسلاميّة قديمة تدعى نبي يونس قد غمرتها كثبان الرمال التي تواردت عليها من البحر ولا يرى منها سوى قبّتها البيضاء. فدخلناها فاذا هي اشبه بمغارة لا منفذ لها الآن واوضعها اوطأ من عرصة الدار الخارجيّة وفي رأس احد عواميدها اكليل عمود قديم منقول من بنايات المدينة القديمة وهو اشبه بالطرز القورنثي: ويقوم بخدمة المقام شيخ من قرية برجا التي تبعد قليلاً عن الجيّة وحول المقام بعض الابنية لاستقبال الزوّار

امّا اسم الجيّة القديم فقيل انهُ بورفيريا وبهذا الاسم سُميت ايضاً حيفا ويظهر انها لعبت دوراً مهماً في الاجيال السالفة ايام الفونيقيين وخلفاء الاسكندر والرومان نظراً لحسن موقعها على البحر وخصب السهول المجاورة لها ونرى حتّى الآن بقايا رسم ونواويس قديمة منقنة بينة اكتشف عليها مؤخراً الفعلة تحت الرمال بينما كانوا يشتغلون في املاك سعيد بك البستاني وقد رأينا آثار فسيفساء معبد نصرانيّ صليبي

وممّا رواهُ لنا المؤرخون من الجيّة في ايام الافرنج ان المسلمين سلبوا خيل ملك قبرس هنري سنة ١٢٨٣ وهي ترعى في سهل الجية فانتشب القتال بينهم وبين حامية

١) اطلب كتاب راي (Ray: *Les Colonies Franques de Syrie*, p. 529)

صيدا. وسكّان الجيّة هم المسلمون الذين يقطنون بالقرب من بني يونس وعددهم يبلغ ٣٥ متكلفاً واما الموارنة فيقطنون في القصبة وقصوبا وحارة بيت ماضي (١ وعددهم عبارة عن ١٩٠ متكلفاً. وفي الوسط بين حارة بيت ماضي والقصبة كنيسة سيدة النجمة التي بناها الامير بشير الكبير لشركائه اذ كانت الجيّة من املاك الامير الخاصة فوقعت ميراثاً لابنته الست سعدى ولعقيلته الست حسن جهان الجركسيّة وتدعى دارها اليوم بحارة الست وكان كاهن من عائلة حبيش المشايخ اسمهُ استفانوس يخدم دار الست والموارنة حتى ١٨٦٢. وهذا عرفناه من تاريخ منقوش على ضريح الكاهن داخل الكنيسة نوردهُ بحروفهِ:

من الكرام الحبيشيين منتقل | في ثوب كهنوتهِ بالرب قد رقدا
نادى في نظم تاريخ يرحمنا | إني سمي استفانوس اول الشهدا

ومع توالي الزمان اشترى الموارنة والمسلمون قسماً من الجيّة من مالكيها وهم قوم يحبون الشغل اليدوي ويرتزقون من الزراعة ومحاصيلهم الحنطة والحرير واثمار البساتين التي غرسوها من امد قريب واستنبطوا لرواتها النواعير. والجيّة تابعة اقليم الخروب (٢ من قائمقاميّة الشوف والمدير من المسلمين مركزهُ قرية شحيم على التالب

ويتبع خورنيّة الجيّة الموارنة القاطنون قرية بعاصير مع المسلمين في حي خاص بهم. وبعاصير قائمة على اكمة بديعة تطلّ على البحر وهي شرقي الجيّة تبعد عنها ساعة تقريباً وفيها آثار مدافن قديمة ومعبد رُجّح كونهُ لعشتروت ولعلّ البعض يروق لهم اشتقاق اسمها من [illegible] اي بيت عشتروت ما لم يشتقّوها من العَصْر لمعاصرها

ولمّا كان غرضنا الاساسيّ من هذه الرحلة ارشاد النفوس قياماً بما انتُدبنا اليهِ القينا المواعظ في كنيسة النجمة مذ صباح اليوم التاسع من شباط الى العشرين منهُ

١) نسبة الى ماضي البستاني جدهم الاول

٢) هذه النسبة نظنّها مأخوذة من شجر الخرّوب المنتشر في هذا الاقليم بكثرة ومما يمار لهُ الفكر ان هذا الاقليم المقفر الآن كان فيما مضى آهلاً بالسكّان وفيهِ آثار بنايات فخيمة كما سترى في مطالعة مقالتنا هذه وفي ذلك لعبرة فالارض كالسكان تشقى وتسعد. ويظهر ان العنصر الاسلامي كان قوياً في ايام الافرنج في اقليم الخرّوب وكثيراً ما قاصموا بالسيوف وتداعسوا بالرماح وأحيط بالصليبيين في مواقع عديدة

فانسنا من الجميع اقبالًا ورغبة شديدة في طلب النفس. وانقطع حضرة الاب منصور سلامه الى ارشاد موارنة بعاصير اذ كان يصعب عليهم ان يأتوا الجيَّة لحضور المواعظ والعود الى مساكنهم كل يوم

٢. من الجيَّة الى الرميلة

في ٢٠ من شباط وفد علينا ابوان فاضلان من آباء الرهبانيَّة اللبنانيَّة البلديَّة لمؤازرتنا في هذه الرسالة فغادرنا الجيَّة في هذا اليوم قاصدين الرميلة وعلمان القائمتين غربيّ نهر الأَوّلي على مسافة نحو ١٢ كيلومترًا من الجيَّة. ولمَّا قاربنا الرميلة تخلَّف الاب منصور عني مستصحباً احد الابوين الى علمان فواصلتُ طريقي مع حضرة الاب الاخر الى الرميلة

(الرُّميلة) تصغير الرملة واحدة الرمل موقعها على أكمة جميلة على علو ١٣٨ مترًا فوق البحر تقريباً وهي بين علمان جنوباً وسبلين شمالًا والجيليَّة شرقاً والبحر غرباً تتوسَّط بينه وبينها سهول رملية غليظة فسيحة قد استنبط فيها سكانُ الرميلة الآبار وجهَّزوا النواعير ونصبوا التوت وبعضها يتموج فيها الزرع بخضرتهِ وكان اذ ذاك قد اشتدَّ وتقومت ساقهُ ونوَّر النبت على جوانب تلك الربى والسهول فكساها ثوباً قشيباً منمناً بشقائق النعمان والاقحوان الباسم الثغر والبنفسج النشر العرف

وقرية الرميلة من املاك آل جانبلاط المشائخ الدروز (١ وسكَّانها شركاؤهم من الموارنة والروم الكاثوليك يبلغ عددهم ٣٥٠ نسمة والثلث من الروم الكاثوليك والضيق ذات يدهم هاجر أكثرهم الى امركا انتجاعاً للرزق عملًا بالقول المشهور:

وليس الرزق بأتي بالتمنّي ولكن أَلقِ دَلْوَكَ في الدلاء
تجئك بمائها يومًا ويومًا تجئكَ بحَمْأَةٍ وقليل ماءِ

وحالة المهاجرين من هذه الطبقة معروفة في امركا

والكنيسة حقيرة على اسم مار انطونيوس واكثر حجارتها الضخمة مأخوذة من

---

١) ان اقليم الخروب كان من اقطاعات التنوخيين والمعنيين بعد اجلاء الصليبيين ثم صار اقطاعةً لآل جانبلاط نحو سنة ١٧١٢ وهو من املاكهم كسبلين وعلمان والمغيرية والبرجين وغيرها وقد بيع قسم من هذه الاملاك

أنقاض بناية فخيمة قديمة اكتشفها بالحفر هناك من بضع سنوات سعادة مكريدي بك من نظار المتحف السلطاني. وهاك وصف البناية الموما اليها

في منتصف القرية الحقيرة شمالي العرصة التي اجرى فيها حمدي بك حفرياته بقايا آثار جليلة ادركها الدهر واصبح سكان القرية زيتها بعد ان كان ابناء آدم يتبركون منها ويبطرون الجبين بترابها. ولم تبق الايام على غير مدخلها او رتاجها الفخيم القائم لجهة الشمال وهو مؤلف من اربعة حجار فقط: حجر واحد للقبة العليا وطوله ثلاثة امتار و٥٥ سنتي في عرض متر واحد وعلوه ١م و١٠ س وعلى جانبي المدخل حجران آخران والمكشوف منها طول مترين فقط والباقي مطمور وعرض الجوانب ١م١٠ س وعلى كل منها صورة ماثلة قد عفت صروف الايام رسومها ويرجح ان الصورتين كانتا تمثلان ذكرا وانثى اما القبة السفلى او موطئ الرتاج فغير ظاهر للعيان. وعلى بعد مترين من هذا الرتاج آثار ثلاثة ابواب ونظن انها بقايا ابواب الرواق الذي كان قائما امام الرتاج العظيم

اما ماذا كانت هذه البناية الفخيمة ذات الرتاج البديع. فقد أرتج ذلك علينا لدى رؤيتنا البناء. ولا نعلم أنشر مكريدي بك في احدى المجلات رأيه في ذلك. اما المقالع التي استخرجت منها هذه الحجارة الضخمة فآثارها ظاهرة للعيان في شرقي القرية وشماليها ولأول وهلة يظهر ان طريقة قلع الحجارة عند الاقدمين كانت نظامية هندسية تختلف جدا من طريقتنا اليوم

اما العواميد العظيمة التي كانت تسند تلك البناية او تزينها فاكثرها مطروح على الحضيض عند الجنينة جنوبي البناء. وعلى طريق هذه العين المذكورة رأينا آثار فسقيا. قد انهال التراب عليها بفعل الزمان وهزات الزلازل التي اودت بالبناء. وربما يجاوره. وقد عثرنا على مسكوكات كثيرة في عدادها مسكوكتان يرتقي عهدهما الى مئتي سنة قبل المسيح عرضناهما على حضرة الاب سبستيان رونفال مدرس الاثريات في كلية القديس يوسف

وعلى بعد عشر دقائق من الرميلة شرقيا آثار مدافن قديمة في محل يدعى عريض البطم. وبالقرب منه محل آخر شمالا يدعى عريض الرأس آثار عمد ضخمة متحطمة وآثار

آبار عديدة ونواويس فكل ذلك يدلنا على ما كانت عليه تلك الربوع من الحضارة خصوصاً ايام سؤدد صيدا.

لمّا حالة الشعب في الرميلة وغيرها من اقليم الخروب فتدعو الى الاسف ويحقّ لراعي النفوس ان يردّد قول المخلص: انني مشفق على هذا الشعب المسكين. واذا كسرنا لهم خبز البنين قبلوهُ بالشكر وطلبوا الينا ان نعود اليهم بعد ان ودَّعونا باكين

وقبل ان نغادر الرميلة اتفق لنا ان زرنا في سهلها القائم على الشاطئ جناب الشيخ الجليل شاهين نقولا القزي الكسرواني الاصل وهو والد الياس افندي شاهين القزي. فدلّنا على اثر وقع تحت نظره عند حفره ناعورة لري املاكه المجاورة لشاطئ البحر. فتوجهنا الى المحل لنظره فاذا هناك خندق طويل على عمق خمسة امتار تقريباً من سطح الارض المزروعة وفيه رُفات اموات غُيِّبوا في ذاك اللحد جنباً الى جنب. وفي طرف هذا الخندق نصبٌ من الرخام البرّي عليهِ رسم صليب وبين العظام آثار قسيّ ورماح وسيوف أفناها الصدأ والباقي عظام وجماجم تُرى اضراسها سالمة مما يدل على ان القتلى هم رجال حرب وافتهم المنية في ساحة الوغى في شرخ الشباب فضمّ لهم رفاقهم هذا المضجع جنباً الى جنب وغيّبوا جثثهم في الرجم فطمرت مع توالي الزمان اجداثهم الرمالُ المتدفقة من البحر فظهرت الآن صدفة

من الرميلة الى المغيرية

وشرقيَّ الرميلة قريةٌ يسكنها الموارنة والمسلمون تدعى المغيريَّة فعزمنا باديء بدء ان نذهب اليها توّاً من الرميلة ثم بدا لنا ان نعود على الاعقاب نحو الشمال على طريق البحر لزيارة الموارنة القاطنين مزرعة فوق شاطئ البحر تدعى جدرا وهي في منتصف الطريق بين الجيَّة والرميلة وارجأنا تفقّد موارنة المغيريَّة الى وقت آخر. وهناك فارقنا حضرة الاب منصور سلامه فتابع مع رفيقهِ خطة القرى القائمة على ضفَّة نهر الاولي الشماليَّة فبعد علمان انتقل الى البرغوثية والجليلية وتعاهدنا ان نلتقي في دير القمر في جمعة الآلام او قبلهُ باسبوع

برحنا من ثم الرميلة صباح اليوم ٢٦ من شباط وشيَّعنا ذاك الشعب المبارك حتى خارج قريتهم فابتهلنا من صميم الفؤاد الى راعي اسرائيل الذي لا ينام ان يسهر على رعيته ويحفظ في قلبها خمير تعليمهِ المقدَّس الذي اصلح بهِ فساد العالم الوثني. ولم يمضِ

علينا نصف ساعة حتّى بلغنا دار الياس افندي شاهين نقولا القزي الكسرواني المنبت وهو وجيه عائلتهِ المتكثرة في جدرا والمغنية. واصل هذه العائلة من البوار في كسروان فقدم نقولا جدّهم الى قرية المغنية في اقليم الخروب ومن بضع سنوات هجر الياس افندي المغنيّة مع والدهِ الشيخ شاهين الى محل بالقرب من جدرا على سيف البحر يدعى وادي الزينه وبنى له فيهِ دارًا فسيحة. وهذا الوادي تبتدئ تشعُّباتهُ من قرية شحيم على بعد خمس ساعات وينتهي الى البحر فيتكوَّن منهُ ابان تساقط الامطار سيلٌ رعيب يملأه الى جانبيهِ

فلمَّا علم الياس افندي بقدومنا خفَّ لملتقانا واشار علينا بالعدول عن التوجُّه لجدرا القائمة فوق دارهِ على مسافة ساعة اذ لا كنيسة في القرية وانهُ بطيبة خاطر يفرغ لنا محلًا في بيتهِ لإقامة المراسيم الدينيَّة وسيوعز الى اقاربهِ في جدرا ان يأتوا لايفاء واجباتهم لاستماع الارشادات الخلاصيَّة فشكرنا لهُ تلطُّفهُ وتدينهُ وبتنا في دارهِ حتى غرَّة آذار وحفظنا لهذا البيت الكريم ذكرًا طيبًا

وبعد ان انهينا مهمَّتنا الروحيَّة في وادي الزينه غادرناها في غرَّة آذار عندما لاحت حواجب الصبح فسرنا على الاقدام ووجهتنا قرية المغنية

فألفينا منحدرين في طريق حَزْن على يميننا مخفر العسكر اللبناني وعلى شمالنا تعاريج وادي الزينه وبينا نحن سائرون اذا بالغزالة تبدَّت من وراء الجبل يخفرها جمال الطبيعة. وكان المطر الوسمي الذي سقط هذه السنة باكرًا دبَّج الارض فكنا نسير والزرع على يميننا وشمالنا يمرُّ عليها نسيم السحر فتترنَّح مائلة والاطيار تغرّد على افنان شجر الخروب والعضاه. وكثيرًا ما مررنا على طنافس من الازهار متنوعة الاشكال والالوان اشبه بالديباج وعليها الطل كاللؤلؤ والجمان المنثور

تخال الحباب المرتقي فوق نَورها الى سوق اعلاها جمانًا مبدَّدا

وكنا تارة نُحزن وتارة نسهل الى ان ظهر لامنا بعد نصف ساعة في منفسح من الارض رَبع دارس ترعى بين مبانيهِ الصما ثُلَّةٌ من المعز والضان:

والدار قفرٌ والرسوم كما قد خطَّ في ظهر الاديم قلمْ

فسألنا الراعي عن اسم الخربة فاذا هي خربة القلاطية فعجنا عليها وشاهدنا فيها آبار كثيرة وبعضها حتى الان يصلح لاستيعاب الماء وهو ممتلئ حتى فوهتهِ. وهذه الآبار

كلها على طرز واحد فوهتُها بيضويّة الشكل واسعة. وآثار اساسات المساكن وتقاطيعها ظاهرة للعيان وقد فعلت التقلّبات الجوية بالحجارة حتى اصبح اكثرها ذات ثقوب منخورة كالغربال وتشغل هذه الرمم فسحة واسعة ما يدلُّ على انَّ هناك كانت دسكرة كبيرة

والى شمالي هذه الاخيرة على مقربة منها اكمة مستديرة الشكل تدعى قلعة الحصن تعلو عن البحر نحو ١٥٠ مترًا يحدُّها شمالًا وشرقًا وادي الزينه العميق هناك والبحر في غربيها وامامها ساحة بديعة. وعلى طرف هذه الأكمة الغربي آثار برج قديم هُدم اكثره وعلى الاكمة آثار معاصر قديمة وبقرب البرج على منحدر الاكمة الغربي اشجار من الخروب قديمة العهد اتقينا تحت ظلها حرارة الشمس. ولم يكن بين الخرائب انيس واذا خرجت من زاوية البرج افعى عظيمة لاستقبالنا كأنها تدّعي مع صغيرها بملك تلك الاطلال فاخلينا لها ربعها منهزمين نحو الطريق

ويجاور هذه الاكمة شرقًا اكمة اخرى بيضويّة الشكل اقل ارتفاعًا منها وبينها رهوٌ من الارض يدعوها السكان قلعة ظهر البيدر ولم يبقَ من آثارها سوى مرقى للرتاج منقور في الصخر وهو عبارة عن ٦ درجات. ونقول بقصر الرأي ان هذه الخرائب قديمة تعاقبت في سكناها امم متنوعة جددت بناءها في اطوار متوالية وكانت آخر أمة عُنيت بترميمها أمة الفرنج في الجيل الثاني او الثالث عشر. ثم هُدمت على اثر الحروب والزلازل فتبدلت الدار بانسها وحشًا وصارت قاعًا صفصفًا ينعى فيها البوم ليلًا وتقصدها السائمة لكثرة آبارها المتجمعة فيها مياه الامطار الى ان يشتدّ القيظ ولم يَبقَ في الآبار شُفافة فتهجرها القطعان ولا تعود ترى في الفلاطئة سوى الزحّافات والافاعي السامّة

ثم رمينا بابصارنا لآخر مرة على تلك الخرائب وقلنا نحوها مع الشاعر:

حيِّ ديارًا بها معارفها طولُ البلى وتراوُحُ الحِقَبِ

ثم اخذنا نتوقل الأكمة المبنيّة عليها قرية سبلين الواقعة في علوّ ٣٠٠ م تقريبًا فوق سطح البحر على مسافة نحو ساعة ونصف من ساحلها وموقعها جميل تحيط بها السهول المخصبة وتنمو في اراضيها اشجار الزيتون النضرة:

انَّ العروق اذا استسرَّ بها الثرى أشرَ النباتُ بها وطاب المزرعُ

وسكان سبلين من المسلمين شركا. آل جانبلاط فاجتزنا القرية يحيّينا رجالها ونساؤها تأدباً. والنساء حاسرات الوجوه في هذا الاقليم لا يحتجبن بالخمار وبعد قليل من الزمن وصلنا الى عين ما. غدق غزير ذات سبيل قديم يدعونها عين كترمايا وكترمايا قرية بقربها على اكمة تعلو عن البحر ٣٦٥ متراً ولعلّ الاسم مأخوذ من العين بالتصحيف واصلها كفرمايا (ܥܝܢ ܟܪܡܐ) اي قرية العين او هي (ܟܢܘܫ ܡܝܐ) مستنقع الماء.

وهذه العين مورد لكثير من القرى المجاورة كالمنية وسبلين وغيرهما. وكان التعب اخذ منّا مأخذهُ ورشح جبيننا بالعرق وذبلت شفتانا ولساننا من العطش فاسترحنا بالقرب من تلك العين ورشفنا ماءها الزلال. ثم استأنفنا السير واخذنا بالانحدار نحو مسيل ماء شتوي وما زالت تخفضنا ارض وترفعنا ارض حتى دخلنا قرية المنية بعد ثلاث ساعات ونصف مذ فارقنا وادي الزينه وقصدنا بيت خوري الرعيّة فاذا بنا بإزاء دار تراكت امامها الاطلال فاصبحت كدمنة القرية. وكاهن المنية يدعى يوسف القزي وهو شيخ قديم الايام من اقارب الياس شاهين افندي القزي فتحفّى بنا واكرم وفادتنا وفي صباح اليوم الثاني بدأنا مهمتنا في كنيسة القرية القائمة حديثاً على اسم النبي الياس. والموارنة في المنية يبلغ عددهم ١٣٠ نسمة ويتبع هذه الخورنية موارنة المغيرية على بعد ساعة من المنية و موارنة حارة سبلين وكترمايا وعين الاسد والشبيس على بعد نصف ساعة من المنية

المنية موقعها على اكمة تعلو عن البحر نحواً من ٤٠٠ متر بين دلهوم وشحيم شرقاً (وهما قريتان كبيرتان يسكنها المسلمون فقط) وجدرا ووادي الزينه غرباً وعن شمالها الشبيس وعين الاسد (سكانها موارنة) ثم برجا وهي قرية قديمة كانت قصبة تلك الناحية كما يدلّ عليها اسمها المعرَّب عن اليونانيّة (τοπάρχια) وسكانها اليوم من المسلمين وجنوبي المنيّة سبلين وكترمايا والمغيرية وسنذكرها

واسم المنية حديث وهي منسوبة الى آل معن لانها كانت من املاكهم قديماً ثم اتّصلت الى اعيان الدروز من آل تلحوق ثم الى آل حماده من بعقلين حالياً. والموارنة في المنيــة شركاء والبعض منهم اشتروا لهم املاكاً في خارج قرية شحيم. ومركز المنيّة بديع وفيها آثار قديمة من نواويس ومدافن وآبار ممّا يــدلّ على انها كانت كبيرة آهلة بالسكان قديماً وهي تكشف على معظم قرى الاقليم ويمتدّ النظر منها

حتى اعالي قرى اقليم التفّاح جنوباً . فاذا سرَّح الواقف على سطوحها النظر نحو الجنوب اشرفت لديهِ خياشيم جبال عازور وروم ورأى البحر غرباً وانتهى بصرهُ شرقاً حتى تل الفخّار المكلّل بالاشجار

ولمّا كانت للزلاوع التابعة لهذه الخورنيّة يبعد بعضها عن مركز الرعية حتى مسافة ساعة عمدنا الى زيارة ذلك الشعب في مزارعهِ وتوزيع خبز الحيوة عليهِ فاعددنا مُعدَّات التقديس وذهبنا الى المَعيرية في يوم كانت السماء تطشُّ فيهِ طشّاً خفيفاً حسبناهُ وداعاً لفصل الشتاء . ودخلنا تلك المزرعة بين سواد البهائم فاقمنا الذبيحة الالهيّة في بيت حقيرٍ يصلح لزرب المواشي والما شاطر البشر السكنى معها لفقرهم فذكّرنا ذلك بتنود بيت لحم . ومموارنة المَعيرية اشتروا سويّةً مع المسلمين مواطنيهم هذه المزرعة من ملّاكيها الاصليين آل جانبلاط والقوم هنا يشتركون في الملابس والعوائد حتى يصعب التمييز بين النصارى والمسلمين . والنساء المسلمات والمسيحيّات يلبسن الخلخال ويحجلن الاصابع ويلبسنّ الكردان في العنق والمسلمات لا يلبسن الخمار ويجبين الملازين كما تفعل المسيحيّات . وقد مررنا بالقرب من تنور اتفاقاً فوقع نظرنا على نساء يدحين الرقاقة وينضجنها . فدعَونا الى الطعام وكنا نظن بانهن مسيحيات فقال لنا رفيقنا : « لا واننا نحن هنا نعيش بوئام وقد تعاوناً واشتركنا سويّةً في مشترى المزرعة ملكاً لواحد من الشراكة » . وتعلو المَعيرية عن البحر نحواً من ٣٨٠ متراً وهي واقعة بين مزبود شرقاً (وسكانها اسلام) والجيليّة غرباً ثم دير المخلص وحارة جون جنوباً يفصل بينهما النهر اليابس ودير المخلص على مسافة ساعة من المَعيرية . ومساكن اهل المَعيرية لا تكاد تصلح لزرب البهائم فوجدناها احقر من مساكن بلاد بشارة وبلاد الشقيف . فالحائط معظمهُ من اللبن والسياع ( ولذا يكثر مورد الغبار في الصيف فيؤذي الابصار وتكثر امراض العيون في هذا الاقليم ) وبعض الحجارة التي هي اشبه بالحصى . والسقف تسندهُ بعض اخشاب ركيكة ضئلة ويضاف اليها بعض القصب ولذا قلّما يتجرأون على امرار المحالة ( المحدلة ) على السطوح منعاً لسقوط الوكف فاذا دهمهم المطر عمدوا الى بلّانة فرحوا السطح بها سدّاً للشقوق مخافة ان يدخل الوكف الى البيت ولقد بلينا بمثل هذه الآفة في قرية المَعيرية فبينا نحن نائمون آمنون سقط المطر بغتةً فاندلق علينا الوكف كالسيل فلجأنا الى زاوية السكن وتدثّرنا

بلحافنا فلم يُجدِنا ذلك نفعاً لان الوكف انساب من القصب وعمّ البيت فلم تكتحل عيوننا بنعاس طول ذاك الليل وتذكرنا قول الشاعر المصاب بالارق :

طردتُ الكرى عنهُ وقد مال رأسهُ كما مال رشّاف بقصيل المرنّح

وحبذا لو تمكنا من تعهُّد ذاك الشعب المسكين مرة اخرى وشاطرناه شقاءهُ المادّي مداولةً لشقائهِ الادبي ولقد يحلو لنا تذكُّر ما قاسيناه من شظف العيش لان الله العادل يكتب اجرًا لمحة كرمهِ . ومن بعد عودتنا من المغيرية امنا مزرعة الشّيس وعين الاسد القائمتين على مسافة نصف ساعة من المغيَّة عن شمالها وهناك فعلنا ما فعلناه في المغيرية وودَّعنا المزرعتين اخذين وجهتنا قرية الدبيَّة

من المنية الى الدبيَّة — خربة هيكل شحيم

كان خروجنا من مزرعة الشّيس في اليوم الثامن من آذار نريد الدبيَّة وذلك في يوم صافي الاديم نسيمهُ عليل وما مضى على مسيرنا ثُلث ساعة واذا بنا بالقرب من خربة قديمة تبعد عن جادَّة الطريق على يمين المسافر الى الـدبيَّة نحوًا من ١٠ دقائق فسألنا رفيقنا : وما تلك الاطلال . قال : ندعوها كنيسة شحيم . ففكَّرنا لعلَّها بقايا كنيسة كان ابتناها الصليبيُّون فعزمنا على زيارتها فما اشدَّ ما كان دهشنا لمَّا وقفنا امام مدخل فخيم لهيكل عظيم من آثار الرومان . وهاك وصف البنـاية وموقعها وصورتها (١) :

هذا الاثر في ملك ملحم نجم السلم من قرية شحيم في وسط الادغال على منحدر تل الفخارة شرقًا وعن جنوبهِ قرية شحيم التي تبعد ربع ساعة فيرى المسافر ربعاً اندثرت بفعل الأيام رسومُهُ فتبعثرت مبانيه ولم تُبقِ الَّا على اثر رتاج هيكل بديع الصنعة اوقف افكارنا ولم يرد ذكرهُ على ما نعلم في اسفار المتجولين وهو كما يظهر هيكل فينيقي من العهد الروماني

والبنـاء عبارة عن كعبة مربعة في طول ١٢ مترًا في مثلها عرضاً ومدخلهُ من

---

(١) ان حضرة الاب دي مرتمبري رئيس الآباء اليسوعيين في جزّين قد تلطَّف فرافقنا بعد مدَّة في ١٣ من حزيران الى هذه الخربة واخذ صورة رتاج الهيكل بالتصوير الشمسي وقد تكرَّم حضرته فرسم باليد ما لم نتمكَّن من اخذه بالتصوير فلهُ منَّا جزيل الشكر نثبته على صفحات المشرق

الجنوب ولم يبقَ من هذا المدخل سوى قسم من جانبيهِ بعلوّ مترين و٦٠ سنتي من موطأ الاقدام فصاعدًا وما تبقى أي العتبة العليا والقوس او الناق العلوي كما في عرف البنائين قد سقط داخل البناء مع سائر حجارة الجدران (١

وعلى الحجر الاوَّل الباقي من جانب الرتاج على يمين الداخل صورة نصفيَّة ثابتة طولها ٦٠ سنتي وعرضها المتوسط ٤٠ س قد شوَّهت الأيام شيئًا من جمال محياها ورأس الشخص مكلل بالنور فقدَّرنا انها تمثل الهًا شمسيًّا ونرجح انهُ ابولون الروماني

وتحت هذه الصورة النصفيَّة صورة أُخرى بطول ٤٥ س ذهبت الأيام بسحنتها فلم نجسر على الجزم بهويتها فاخذنا صورتها الشمسيَّة

ثم يرى الداخل عن شمالهِ على الجانب الآخر من الرتاج على الحجر الاول ايضاً العلوي البالغ طولهُ مترين و٤٠ س صورة موازية لصورة ابولون القائمة على يمين الداخل على ما لسلفنا تمثل كاهنًا مصريًّا متشحًا بثوب طويل وهو واقف يمسك بيده الشمال وعاء الدم او ابريقًا وبيده اليمنى شيء اشبه بعصا معكوفة. ووجه الكاهن متجه نحو صورة ابولون كأنَّهُ يقرّب له قربانًا ثم ترى على الحجر الذي يلي صورة الكاهن صورة تشوَّهت بتقدم الزمان تمثل شبه المشعل او المحرقة

وعلى مقربة من هذا البناء بناء آخر يقابلهُ وهو على هيئتهِ وسعتهِ وانَّا رتاجهُ لم يَبْقَ له أثر مطلقًا ولم يبقَ منهُ سوى الحائط الجنوبي بعلوّ سبعة امتار تقريبًا وهو متداعٍ للسقوط واذا لم يكن هذا البناء معبدًا آخر على موازاة المعبد الذي سبق لنا وصفهُ اولًا فربما كان مأوى لسدنة الهيكل الشمسيّ. وبين البنايتين مسافة ٣٠ مترًا طولًا تقريبًا. وفي هذه الفسحة ترى بقايا عمد ضخمة قد ركزها صاحب الملك ملحم

(١) قد حاولنا مع بعض القرويين الذين كانوا بالقرب من الخربة اتفاقًا ازاحة عتبة الرتاج العليا الساقطة داخل البناء فذهب تعبنا ادراج الرياح نظرًا لضخامة الحجر لان علوه ٧٥ سنتي في سمك ٧٥ س وطوله نحو ٣ امتار ونيف مطمور قسم منهُ في الارض. والجهة المرسوم عليها عناقيد عنب واكاليل مقلوبة متجهة نحو الارض فلم نتمكن من اخذها بالتصوير ورأينا بالقرب من هذه العتبة حجرًا بطول متر تقريبًا عليهِ نقوش اشبه بصورة هلال وما حولهُ شبه صورة الحيَّة المصريَّة الملكية المدعوة (ureus) وقسم من جناحيها وعلى حجر آخر بالقرب من هذا تتمَّة الجناح الايسر والحجر الآخر المرسوم عليهِ تتمَّة الجناح الايمن مكسور معظمه (انظر الرسم)

تجم كجدران لحفظ التربة على اصول لشجار الزيتون القائم هناك ونظن انهُ كان ثمَّ رواق بين الهيكلين والله اعلم

وبالقرب من الهيكل الشمالي على بعد بعض امتار يجد نواويس منقورة في الصخر لها اغطية مثلثة الزوايا (en dos d' âne) وحول المعبد من جهة الشرق آثار شتَّى وآبار عديدة تنبئ بوجود دسكرة هناك

واذا سأل سائل فقال: كيف بُني هذا المعبد وامثالهُ في بلادنا ايام تملُّك الرومان وغيرهم . فنجيبهم انَّ الدين قد شغل في حياة الشعوب مكاناً عظيماً فكان الناس يرون انَّ اكرام القوَّة العلويَّة التي بها ينوط وجدانهم يستدعي تعظيمها بالابنية الفخيمة التي تمثّل جلالها نوعاً . وكان ارباب السلطة ينعشون تلك الشعائر في قلوب مرؤوسيهم فيتفقون معهم على تشييد تلك المعابد الجليلة وينفقون عليها المبالغ الطائلة وربَّما كانوا يكرهون الاهلين على السخرة والضرائب لينجزوا اعمالها الجباريَّة وهم يتحققون بانهم اذا انعشوا روح الدين في صدور العامَّة وجدوهم خاضعين لسلطانهم

واطلنا التجوال بين تلك الخرائب حتى انَّ رفيقنا سئم من اطالتنا وظنَّ اننا نفتش على دفائنها وكنوزها واننا نحكم الطلاسم فانتحينا جادَّة الطريق وواصلنا السير الى الدبيَّة موعد رسالتنا فمررنا بعد ساعة ونصف من مغادرتنا معبد شحيم وسط قرية البرجين وهي قرية اشتراها ايضاً الموارنة والمسلمون من آل جنبلاط وعدد الموارنة فيها يبلغ ٤٠ متكلفاً (كما في عرفهم) ولا معبد لهم وانما يتبعون رعيَّة الدبيَّة غير اننا زرناهم بعد مدة ووزعنا عليهم الاسرار في احد البيوت . والبرجين سميت كذلك من برجين شيَّدهما هناك الصليبيُّون لم تزل آثارهما قائمة حتى الآن وقد استخدم السكَّان معظم حجارتها لبناء بيوتهم الحاليَّة

وبعد ربع ساعة من الزمن دخلنا قرية الدبيَّة ونزلنا ضيوفاً على حضرة الاب الفاضل الخوري بولس البستاني خادم الرعيَّة احد تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية فاستقبلنا مع ذويهِ بغاية الاكرام وتحفَّوا بنا

وعند الصباح في التاسع من آذار عيد الاربعين شهيداً افتتحنا الرياضة في كنيسة القرية المشيدة على اسم القديس يوسف البتول (١ ويتبع خورنية الدبيَّة عدَّة مزارع

١) على عتبة هذه الكنيسة التاريخان الآتيان الاول باحرف سريانيَّة جاء في احد حقليهِ

تبعد عنها مسافة ساعة تقريباً وهي بشرا والحريبة وبكشتين وبشلي والبعجين ومرج بريا والمليونة والبقيمة وبقعون وشمعرين وظهر المغارة والفسقانية والرزانية والدلهمية وعدد المتوفين في هذه المزارع نحو ٢٠٠ تقريباً

(الدبيّة وموقعها وسكانها) تعلو الدبيّة عن البحر نحواً من ٧٠٠ متر وهي بين بكشتين شرقاً يكللها غاب من الارز البري والمليونة غرباً والبعجين جنوباً ومراح الطيت شمالاً واسمها الاصلي وكر الدّبة. روى لنا احد شيوخ عائلة البستاني ان جد فرع هذه العائلة الموجود الآن في الدبيّة (واصل العائلة من بقرقاشا) الى فسكن اوّلاً قرية الدلهميّة من اقليم الخروب القائمة على ضفة نهر الدامور الجنوبيّة على بعد ساعة من الدّبية شمالاً. وكان شريكاً لعائلة درغم الدرزيّة من دروز دير القمر فاشتغل عند الشيخ مزارعة (كما في مزعمهم) ثمّ عمد الى المقاسمة فقدّم الدروز له ولاولاده حقلاً غاباً يُدعى «وكر الدّبه» فاستوطنوه وبنوا فيه القرية الحاليّة وتكاثروا الى يومنا ومعظم القرية من عائلة البستاني والمستقرون في الدّبية عبارة عن ٢٠٠ معتقف والمهاجرون نحواً من ١٥٠ نسمة ولا حاجة لبيان ما خصّ الله بهِ هذه العائلة من رجال العلم والحنكة والدربة فقد نبغ من الدبيّة اسقفان جليلان ذكرهما يملأ الافواه مدحاً. ومن الدبيه نشأ سليمان افندي البستاني عضو مجلس الاعيان وله دار بديعة البناء على اكمة بكشتين القائمة شرقيّ الدّبية على مسافة نصف او ثلث ساعة منها

وكان الاقبال على استماع المواعظ عظيماً وانما عزّ علينا ان نرى في الدّبية مدرسة

---

ما نقلهُ بالحرف: «بسم الآب والابن والروح القدس الهٍ واحد آمين لا لسواه هذا المكان بناه بسم يسوع ومريم ومار يوسف القس سمعان راجي عفو مولاه سنة ١٧٥٣ مسيحية». وفي الحقل الثاني باحرف عربية: «كنيستنا تسبي العقول بكل رونق عجيب. بتاريخها أمدح بتول زين الحرّيه. في زمان البطرك مار سمعان بطرس (عوّاد) والمطران جبرايل والقس سلمان البستاني راجي ممّن وقف على هذه السطور يصلي ابونا وسلام سنة ١٧٥٣». ثم يلي ذلك صحيفة أُخرى مربّعة الشكل وعليها تاريخ توسيع هذه الكنيسة التي ربّما كانت الوحيدة في تلك النواحي. «في ايام رياسة البطرك يوحنا الحلو وسّعنا هذا المكان الذي بناه المرحوم الخوري سمعان وكان الساعين (كذا) بذلك كافّة الخوري يوسف والخوري عبدالله» والخوري عبدالله (البستاني) هو الذي صار فيما بعد اسقفاً على ابرشية صور وصيدا» (اطلب المشرق ٨ : ١٥٢)

للبروتستان قديمة العهد سعى بانشائها المعلم بطرس البستاني ولا مدرسة كاثوليكية تناوئها. نعم اننا نعلم انهُ لم ينحز الى مذهب لوتيروس الا العدد القليل من اهلها وانما لا يزال الخطر يتهدد ايمان الاحداث فعسى ان يتداركهُ الرؤساء. هذا الامر بعنايتهم

واتفق انهُ في اليوم الخامس عشر من آذار سنة ١٩١٠ بينما كان الخواجه داوود حنا شاهين من الدبية يشتغل في املاكهِ في مزرعة المليونة اذ عثر على آثار فسيفساء وكتابة يونانيَّة فحدا بنا حب البحث الى الذهاب لهذه المزرعة لنشاهد بامّ العين ما رواه لنا

المليونة على مسافة نصف ساعة غربيَّ الدبية موقعها على بطحاء بين وادي بقعون شمالاً ودير الصفا او نهر الصفا جنوباً تعلو عن البحر نحواً من ٥٠٠ متر وفيها آثار احجار رحى قديمة من الحجار الحورانيَّة البركانيَّة وآبار وخرائب كثيرة وبينها آثار معبد وجدت فيهِ قطعة من عمود الرخام الابيض طولهُ ٣٦ س وعيطهُ ١٠ س والكتابة عبارة عن ثلاثة اسطر عرض السطر ١٣ س وهو عرض قاعدة العامود السفلى وهاكها بحرفيتها:

ΚΑΑΡΟΥΣ
ΧΡΗΣΤΕ ΚΑΙ
ΑΛΥΠΕ ΧΑΙΡΕ

فهذه الكتابة هي لضريح ميت في سطرها الاول اسمهُ وقد سقط اولهُ وآخرهُ فبقي «آرو» ولعلهُ «عرو» وهو اسم ساميّ. والسطران الاخيران تأسف وسلام على الميت. ولا شيء في هذا الاثر يدلُّ على نصرانيَّة صاحبهِ

امَّا اسم المليونة الطلق على هذه الخرائب فلم نتحقَّقهُ ولعلَّهُ مشتقٌ من لفظة (Elaeva) يعني الشام او الحيّ اليونانيّ لوجود بعض مستعمري اليونان في هذا المكان

وكان في عزمنا مواصلة مهمّتنا الروحيَّة في الدبيَّة وجوارها لولا نبأ فاجع ورد علينا من القاهرة اضطرَّنا الى ان نتوجَّه الى بكاسين وذلك انهُ بلغنا خبر وفاة شقيقتنا العزيز سليم مخائيل حرفوش توفَّاه الله في مصر في ١٢ آذار دون ان يترك من بعده نسلاً فانقطع بوفاتهِ فرع بيتنا فأثَّر فينا هذا الخبر لكننا سلَّمنا الارادة للرب

الذي يحيي ويميت كما يشاء. وذهبنا الى مسقط رأسنا لنتمّم مأتمًا للفقيد بين الاقارب والاصحاب. وليسمح لنا القارئ ان نقطع هنا اخبار سياحتنا ونؤجّل الى عدد آخر تفصيل رحلتنا الى الشوف والبقاع الغربي ان شاء الله

# تجربة ابليس للمخلص

## شرح كتابي لاهوتي

( متى ٤: ١—١٢ ولوقا ٤: ١—١٣ ومرقس ١: ١٢—١٣ )

للاب انطون رباط اليسوعي

طلب الينا احد الادباء ان نشرح ما جاء في الانجيل الطاهر عن تجربة ابليس للمخلص ونجيب على استعلامات في شأنها عرضها علينا. فلبّينا الطلب:

﴿ الظروف ﴾ بعد ان عاش ابن الله المتجسد عيشة خفيّة مدة ثلاثين سنة افتتح حياته العموميّة فجاء الى يوحنا الصابغ ليشدد فيتمّ بذلك كلّ برّ. ولمّا اعتمد انفتحت له السموات ورأى روح الله نازلًا مثل حمامة وحالًا عليه واذا صوت من السماء قائلًا: هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررتُ

ثم قال البشير ما خلاصتهُ: خرج يسوع الى البرّيّة فصام اربعين يومًا واربعين ليلة واخيرًا جاع. فدنا اليه المجرّب قائلًا: ان كنت ابن الله فمُر ان تصير هذه الحجارة خبزًا. فدحض يسوع التجربة بكلام الكتاب. حينئذٍ اخذهُ ابليس الى المدينة المقدسة واقامهُ على جناح الهيكل وقال له: ان كنت ابن الله فالقِ بنفسك الى اسفل. واذ لم ينجح الثلاب بتجربتيهِ اخذ الربّ ايضًا الى جبل عالٍ واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال لهُ: اعطيك هذه كلها ان خررت ساجدًا لي. حينئذٍ قال لهُ يسوع: اذهب عني يا شيطان فانهُ قد كُتب: للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد. حينئذٍ تركهُ ابليس واذا ملائكة جاءت فصارت تخدمهُ

هذه اهمّ فقر النصّ الانجيلي نقلناها عن متى الرسول ولا يكاد يختلف عنها نصّ لوقا بشيءٍ سوى تقديم التجربة الثالثة على الثانية. امّا مرقس فقد اوجز ملخصًا الخبر بقولهِ: انهُ كان «يُجرَّب من الشيطان وكانت الملائكة تخدمهُ». ولم يذكر كيف كانت التجارب وما هي ظروفها

﴿ حقيقة الخبر ﴾ نجده في الانجيليين الثلاثة وفي سائر النسخ والترجمات ولم يُشكّ قط في اصلهِ . اما شرحهُ فقد أتفق الآباء القديسون (١ على تفسيره تفسيراً صريحاً كما هو فكلهم يعتبرون حقيقة التجربة ظاهرياً . ولم يخالفهم كاتب معروف من الكاثوليكيين المحدثين . وقد جاراهم في ذلك الكتبة البروتستان المحافظون على صدق الكتاب المقدس . اما البروتستان المدعوّون احراراً الذين القوا وحي الاسفار الالهيّة ظهرياً وهم جوقة عديدة وكل تاركي الوحي والمعجزات فانهم انكروا حقيقة الخبر كما انكروا سائر عجائب المخلّص وسعوا في شرحها شرحاً طبيعياً او عزوها الى الخرعبلة او الى المخيّلة او الى المبالغة او الى غير ذلك من اختراعات فكرتهم الوقادة استناداً لا على النقد التاريخي ولا على البرهان الاستقصائي لكن على مبدإ اتخذوه لهم محجّة لا يحيدون عنها وهو نكران ما فوق الطبيعة المنظورة والمحسوسة مهما ثبت الامر وتأكد بالبرهان وانتفت عنهُ وجوه الاختراع

﴿ معرفة الخبر ﴾ كيف توصل الانجيليون الى معرفة هذا الخبر ولم يشاهدوه بالعيان ؟ لا شك ان المخلص قصّهُ عليهم فحفظوه ونحن نراه مراراً يكرّر على مسامعهم انهُ انتصر على العالم والشيطان وان اركون هذا العالم الشرير لا سلطة له عليه فقد يكون هذا تلميحاً الى ما اخبرهُ الرب عن فوزهِ الاول وتأييداً لوصيتهِ ان يسهروا ويصلوا لئلا يسقطوا في التجارب فان الغلبة ينالها من يتسلح بالصوم والصلاة على مثالهِ ( مرقس ٩ : ٢٨ ومتى ٢٦ : ٤١ )

﴿ صوم المسيح ﴾ ان صوم المسيح اربعين يوماً واربعين ليلة ولم يأكل شيئاً ( لوقا ٤ : ٢ ) من الامور التي تفوق القوى الطبيعيّة وقد سبقهُ مرّتين الى ذلك موسى كليم الله قبل ان يدفع الرب اليهِ لوحَي العهد (خروج ٢٤ : ١٨ وتثنية ٩ : ١٨ ) وصام ايضاً ايليا اربعين يوماً واربعين ليلة بفضل القوت العجيب الذي بعث الله به اليهِ حتى وصل الى جبل الله حوريب (٣ ملوك ١٩) . واذا سألت عن سبب هذا الصوم ولم يكن المسيح في حاجة مثلنا الى قهر النفس تغلب الروح على الجسد . اجابك الآباء

١) خلا اوريجانوس وصاحب عظة تُعزى زوراً الى قبريانوس القديس فهما يشرحان التجربتين الثانية والثالثة بالتخيّل لا بالحقيقة . ولم يتبعهما الآباء لوعورة هذا التفسير ومخالفته لصراحة النصّ وعدم رضاهم بقدرة ابليس على مخيلة المخلص

القديسون ما ملخصه انه فعل ليكون لنا مثالًا فنقتدي بصومهِ. فقد سبق واعلن ان تلاميذه سيصومون اذا ارتفع عنهم العروس (متى ٩: ١٥). والآباء يلحقون بصيام المسيح الاربعيني في البرية الصيام الاربعيني المأمور به في كنيسة الله والمرتقي عهده الى زمن الرسل (١. وقد زاد الذهبي الفم انه عزّ وجلّ جعل غاية التعويض عن إثم الشجرة والآثام الجسدية التي سقط في هوتها ادم والبشر ايام الطوفان والصادوميين الخ. الى غير ذلك من الاسباب

﴿ معنى التجربة ﴾ وردت هذه الكلمة في الكتاب على معانٍ اهمها ثلاثة: يقولون (اولًا) «جرّب الشيء» بمعنى امتحنهُ واختبرهُ لمعرفة حقيقتهِ وهو المعنى المعهود في العربية. لكن اذا أُسندت اللفظة الى الله كان المعنى مجازيًا فليس المعنى انه تعالى يريد ان يتأكد بمثل البشر بالامتحان امرًا مجهولًا وانما المعنى انّ الله يريد بالاختبار ان يظهر امام الناس ما هو عالم بهِ. وحاشاه من الجهل وهو الفاحص القلوب والكلى والناظر الى المستقبل نظرهُ الى الماضي والحاضر. كذا ورد في سفر التكوين (٢٢: ١) ان الله جرّب ابراهيم خليله وامتحنهُ ليثبت ايمانهُ وخضوعهُ فسأله ان يضحّي له وحيدهُ محرقةً

ويقولون (ثانيًا) «جرّب الانسانُ اللهَ» يُراد بذلك التجاسر عليهِ بالخطيئة والرغبة في استخدام قدرتهِ كما يريد الانسان لا كما يريد الله. قال موسى للشعب (تثنية ٦: ١٦): «لا تجرّبوا الرب الهكم كما جرّبتموه في ذات المحنة بل احفظوا وصايا الرب». قد نقل المسيح النصّ دحضًا للشيطان (متى ٩: ٧) وقال بطرس الرسول لحننيا وسفيرة الكاذبين: ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب (اعمال ٥: ٩)

ويقال (ثالثًا) جرّبهُ فلان اذا حرّضهُ على الشرّ فتُعزى التجربة الى الشيطان والى الاشرار والى العالم والى الطبيعة. وامثال ذلك كثيرة. وبهذا المعنى لا يجرّب الله البشر لانهُ قدوس ويرغب في الصلاح والقداسة. قال يعقوب الرسول (١: ١٣): «لا يقل احد ان الله قد جرّبني فان الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرّب احدًا

١) راجع الاحكام الرسولية (٥: ١٣) في مجموعة مين (١: ٨٦٠) واغوريغوس: العظة الـ ١٠ على سفر الاحبار (في مين ١٣: ٥٢٨) وهيرونيموس الرسالة ٢:٦٠ (في مين ٢٢: ٤٧٥)

بل كل انسان تكون تجربتهُ باجتذاب شهوتهِ وتعلّقها لهُ. ثم الشهوة تحبل وتلد الخطيئة والخطيئة اذا تمّت تُنتج الموت (١

﴿ التجربة الباطنيّة والخارجيّة ﴾ يقتضي اعطاء الموضوع حقّه من التدقيق ان ندرس كنه التجربة والتحريض على الشرّ او الميل اليهِ. فاننا اذا ما تمّلنا في عواطفنا واميالنا مهما رغبنا في اعلائها وتنزيهها عن الدناءة ومهما سمونا الى المعالي نراها لا تزال تنحدر بالطبع الى اسفل فاذا عوّلنا على انجاز حكم الضمير والقيام بالواجب والسير على سبل الهدى اعترض بين ارادتنا العاقلة وبين الواجب ايّاً كان حاجزٌ او مانع كأنهُ يصدّنا ويعود بنا القهقرى. وهو امّا باطنيّ مصدرهُ الطبيعة الامّارة بالشرّ والنافرة من كل ضغط يقيّدها فلا يصل الانسان الى الواجب الّا بشقّ النفس والكفران باميالها. هذا ما وصفهُ بولس الرسول وصوّره تصويراً بديعاً بقولهِ (روما ٧: ٢٣ — ٢٥): « اني ارتضي ناموس الله بحسب الانسان الباطن لكني ارى ناموساً آخر في اعضائي يحارب ناموس روحي... الويل لي انا الشقي. من ينقذني من جسد الموت هذا. نعمة الله بيسوع المسيح ربنا ». وهذا ما اشترطهُ المسيح على تابعيهِ بقولهِ: « من اراد أن يتبعني فليكفر بنفسهِ ويحمل صليبهُ ويتبعني » (متى ١٦: ٢٤)

وقد يكون الحاجز او بالاحرى المعرّض والمجرّب مختلفاً عنّا كأنْ صوتاً سريّاً يوسوس لنا الشرّ في زوايا القلب ويستغوينا. او يكون صوتاً جهورياً يخرج من فم الاشرار فيسمون تارة بالسرّ في الخفاء بذر زوانهم في حقل عقلنا تحت مظاهر القمح الصالح فينمو فينا وننقاد الى مكرهم وتارة يصرّحون بسوء نيّتهم فلا يرضى بالشرّ

---

١) امّا قولهُ في الصلاة الربيّة « لا تدخلنا في التجارب » فالمراد ان لا يسمح الله ان يجربنا الشيطان والاثم تجربة ثقيلة وان شاءت عنايته السماح بذلك فيعطينا القوة لنفوز باعداء خلاصنا. وقد قال بولس (١ كو ١٠: ١٣): « ان الله امين فلا يدعكم تُجرَّبون فوق طاقتكم بل يجعل مع التجربة مخرجاً لتستطيعوا ان تحتملوا ». وقد نقل قبريانوس وطرطليانوس جملة لا تدخلنا « καὶ μὴ εἰσενέγκῃς » بقولهما: لا تسمح ان نسقط في التجربة « et ne nos patiaris induci in tentationem » واخبر اغسطينوس ان كثيرين من المسيحيين في افريقية كانوا يتلون فقرة الصلاة الربيّة على هذا النوع. امّا قول يعقوب (١: ٢): « احسبوا ايها الاخوة كلّ سرور ان تقعوا في تجارب مختلفة عالمين انّ امتحان ايمانكم يُنشئ الصبر » فكلمة « تجارب » مرادفة لمصائب واضطهادات وشدائد ايّة كانت وهو يعزّيهم ويشجعهم على احتمالها.

ألّا ذوو الضمائر المكروة كما قال الرسول في رسالته الاولى الى تيماثوس ( ١ : ٥ )

وكثيراً ما يتواطئ العدوّان الداخلي والخارجي على غوايتنا فتتضاعف بالاتحاد قواهما ويصليان نفسنا حرباً عواناً فيرضانها لخطر لا ينجو منهُ الّا الجندي الساهر الباسل كما قال بولس ( ١ تسا ٥ : ٨ ) « اللابس درعَ الايمانِ والمحبةِ وخوذةَ رجاء الخلاص بنعمة يسوع » وان فُرض انَّ العدوَّ الداخلي كان مسالماً او كان ضعيفاً مقيّداً ذلك لا يمدل بالعدوّ الخارجي عن اشهار الحرب وشنّ الغارة. لانهُ لا يخشى خزياً ولا يحجم من بثّ روحهِ وإن ثبتت لديهِ دلائل كسرتهِ وعودتهِ خائباً

وما هذا العامل سوى الروح الشرير الذي أُنزل من عرشهِ جزاء كبريائهِ فاضحى عدوّاً لله ولقديسيه وسماه الكتاب الحية الجهنميّة والكذّاب والقتّال والعدوّ والشيطان ( متى ١٣ : ١٩ و ٣٩ ولوقا ١٠ : ١٨ ويوحنا ٨ : ١١ الخ ) وقال الرسول بولس في رسالتهِ الى اهل افسس ( ٦ : ١١ ) : « ايها الاخوة تشدّدوا في الرب وفي قدرة قوّتهِ والبسوا سلاح الله لتستطيعوا مقاومة مكايد ابليس فان مصارعتنا ليست ضدّ اللحم والدم بل ضدّ . . . الارواح الشرّيرة »

﴿ أيليق بالمسيح ان يُجرَّب ﴾ في المسيح طبيعتان كاملتان الهيّة وانسانيّة فهو الاله بالذات وكلمتهُ والمساوي للآب في الجوهر قد شاء بجودهِ ان يتجسَّد بلا انتقال عن اللاهوت فارتدى بطبيعتنا البشريّة واضحى في الزمان انساناً كاملاً ليشفي امراضنا ويرثي لها ولذا « جُرِّب في كل شيء مثلنا ما خلا الخطيئة » ( عبر ٤ : ١٥ ) (١) على انهُ لمّا كان القدوس المنزَّه عن كل اثم وعن كل ما يُستشف منهُ اثر الاثم وكانت الطبيعة البشريّة في الاتحاد قد حُفظت من كل شائبة وازدانت بأسمى المواهب الفائقة اضحت منزّهة عن كل تجربة باطنيّة امكن حدوثها « باجتذاب الشهوة وتملّقها » كما

(١) قال بولس الراهب اسقف صيداء : « ان السيد المسيح من حيثُ هو كلمة الله قديم ازليّ ومن حيث هو ابن السيدة مريم هو محدَث زمني . فقبل المعجز بالطبيعة الالهيّة واظهر العجز بالطبيعة البشريّة . والفعلان للسيد المسيح الواحد . كما ان قطعة الحديد اذا هي أُحميت بالنار كانت من حيث النار تحرق وتضيء ومن حيث الحديد تقبل الشحّ والطيّ والقطع من غير وصب يدخل على طبيعة النار . والقطعة واحدة جامعة لطبيعتين طبيعة لطيفة غير داخل عليها عرضٌ وطبيعة كثيفة قابلة للاعراض » وليس هذا (الاتشبيه) يقرب الى عقولنا فهم السرّ الالهي السامي

قال يعقوب الرسول (١ :١٣) لكنهُ ليس شيءٌ يخالف اللياقة في التجربة الخارجيَّة التي يثيرها الشيطان في الخارج ولا تؤثر في الداخل كما ان الفتاة التقيَّة الشريفة اذا عُرِض عليها الشرّ فأبت كلَّ الاباء ولم يخالج قلبها ادنى قبول لا يُمسّ شرفها بل تزداد مجداً وفخراً. كذلك في المسيح. وزد عليهِ انهُ اراد ان ينهج لنا سبل الظفر والانتصار على مثالهِ رحمةً بنا وحنواً كما سيُسلم نفسهُ يوماً للعذاب والاهانة والصلب حباً بنا

﴿ الشيطان ﴾ ولعلَّ قائلاً يقول: ألم يثبت نور العلم المبني على التثبت والاستقراء الحسي ان الاعتقاد بارواح تتأثر بني البشر وتناهضهم وتناوئ ارادة الله هو خرافة اخذ يتقلّص ظلّها ويضمحل؟ ذلك ما قالهُ بعض الكتبة لكن العلم المبني على التثبت والاستقراء الحسي لا يعنيهِ امرُ الارواح لما بين المُسندين من التضاد فالروح هو ما لا يقع تحت الحس فكيف يثبتونهُ حسياً وكأني بمن ينكرون الروح كمن ينكرون وجود النفس الروحيَّة لانهم لم يمسّوها بمبضعهم ومشرطهم اذا شرَّحوا الجسد البشريَّ. وقد سهوا في اعتراضهم عن معاني الالفاظ اكثر من سهو مَن يريد ان يلمس الصوت ويسمع النور ويتنشق النغمة ويذوق الكم والكيف

اما حقيقة الارواح الشريرة ومناوأتها لله وقديسيهِ فالعهدان القديم والحديث قد مُلئا من ذكرها ففي اول صفحات الكتاب نرى الروح الجهنمي عدو الله والناس ساعياً في اضلال الابوين الاولين. نجدهُ يتابع الكرَّة جيلاً بعد جيل الى ان ظهر الابن الالهي ففاز وفزنا معهُ بالغلبة. ولو لم نكن نخشى الخروج عن الموضوع لذكَّرنا الناكرين بالحوادث الغريبة التي طبَّق ذكرها الآفاق في هذه السنين الاخيرة والتي اشغلت عدداً من المجلات والجرائد. نريد بذلك السبيريتيزم او استحضار الارواح والابحاث اللاحقة بذلك

﴿ أيمكن ان يكون الشيطان جهل اولاً لاهوت المسيح؟ ﴾ نعم ذلك ممكن بل واقعيٌّ. فان اسرار الله في خلاص البشر لم تُكشف للملائكة في السماء فهم لا يعرفون يوم الدينونة (متى ٢٤: ٣٦) وكانوا يجهلون سرَّ التجسد (١تيمو ٣: ١٦) ويشتهون ان يطلعوا عليهِ (١بطر ١: ١٢) فان كان ملائكة الله الابرار لم يطَّلعوا على هذا السرّ السامي الى ان كشفهُ الله لهم فما قولنا عن الاشرار. ثم ان الخليقة أيَّة

كانت لا تستطيع ان تعرف سرّ هذا الاتحاد الالهي في شخص المسيح المنظور ان لم يجتذبها الآب بنعمتهِ او بوحيهِ ( يوحنا ٦ : ٤٤ ) فالايمان هبة فائقة الطبيعة تمنحنا من ابي الانوار . لذا نرى المخلص يطوّب بطرس لشهادتهِ حيث قال : « انت المسيح ابن الله الحيّ » . فاجاب يسوع وقال لهُ : طوبى لك يا سمعان بن يونا فانهُ ليس لحم ولا دم كشفَ لك هذا لكن ابي الذي في السموات » . وجازاهُ على شهادتهِ اسمى جزاء . فقال لهُ : « وانا اقول لك : انت الصفاة وعلى هذه الصفاة سابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها ( متى ١٦ : ١٧ – ٢٠ ) »

**٥ ارتياب الشيطان في حقيقة لاهوت المسيح** قد جهل الشيطان سرّ اتحاد اللاهوت بالناسوت في شخص المسيح او كان مرتابًا في حقيقتهِ وذلك لان الانبياء في العهد القديم كثيرًا ما جمعوا بين الصفات المتعارضة في شخص واحد . تارة يصفونهُ ابنًا لله مولودًا منذ الازل والاله القدير والقدوس ونور العالم . وطورًا يذكرون آلامه وصلبه . خذ مثلًا اشعيا الذي قال : « ودُعي اسمهُ عجيبًا مشيرًا الهًا جبارًا ابا الابد ورئيس السلام » ثم اردف كلامهُ قائلًا : « انهُ ينبت كجرثومة من ارض قاحلة لا صورة لهُ ولا بهاء . . مُزدرىً ومخذول من الناس ورجل اوجاع . . انهُ قد اخذ عاهاتنا وحمل اوجاعنا فحسبناهُ ذا برص مضروبًا من الله ومذللًا » ( اشعيا ٦ : ٩ و٥٣ : ٢ ) وامثال ذلك كثيرة لم يظهر معناها جليًا الَّا بتعليم المسيح في حياتهِ العلنيَّة وعجائبهِ وموتهِ وقيامتهِ حتى ان الرسل بعد القيامة كانوا لا يفهمون النبوات تام الفهم كما نبهنا الانجيل مرارًا ( يوحنا ٢٠ : ٩ مثلًا ) الى ان فتح المخلص اذهانهم ليفهموا الكتب ( لوقا ٢٤ : ٤٥ ) بعد ان وبّخهم بقولهِ للتلميذين : « يا قليلي الفهم وبطيئي القلب في الايمان بكل ما نطقت بهِ الانبياء . . . ثم جعل يفسر لهما من موسى ومن جميع الانبياء . ما يختص بهِ في الاسفار كلها » ( لوقا ٢٤ : ٢٥ ) فكم بالحري قبل ذلك في افتتاح حياة المسيح العلنيَّة . نعم قد يكون الشيطان شاهد الايات التي حدثت في اعتماد المخلص ورآه صائمًا مشغوفًا بالصلاة لكن موسى قد صام اربعين يومًا وايليا قد صام ايضًا فما اداهُ أهو نبي كسائر الانبياء . او اعظم من نبي . أهو ابن الله بالطبيعة او بالمجاز . ولذا جرّبهُ ليتأكد احد الامرين إمَّا بصنع الاعاجيب كإله مستقلّ قادر على كلّ شيء او بعجزهِ عن اجتراحها . وان كان

بشرًا محضًا فكان يؤمل الشيطان ان يلقيه في الغواية كما اغوى حوآء بتجربة الحنجرة وموسى بعدم الثقة بالله وداود بالمجد الباطل الخ. وان كان بالحقيقة ابن الله الطبيعي أيرضى ان يُعرض عليهِ الكفر ولا يغضب وينفر عنهُ معلنًا انهُ هو لا الشيطان ملك الكون الذي له يحق السجود والعبادة

اما المخلص فلم يرضَ ان يجاري الشيطان على مرامه فابطل حيلتهُ وخذلهُ وردَّهُ دون ان يُطلعهُ على شيءٍ من اسرارهِ

❦ او حمل الشيطان ربهِ الى جناح الهيكل او الى اعلى الجبل جسديًا او تخيلًا وهل اراه ممالك الارض حسيًا ☚ ليس في النص الانجيلي ما يجيز اعتبار هذا الامر تخيلًا و إن ذهب الى ذلك بعض الاقدمين والمحدثين على شرط ان لا تعتبر الصورة في مخيلة المخلص من تأثير الشيطان. وذهب آخرون ان المسيح سار مشيًا على الاقدام من البرية الى الهيكل ثم الى الجبل . ومن ثم جعلوا بين تجربة وتجربة مدة من الزمان . لكن عدد هولاء واولئك قليل جدًا ولم يقبل رأيهم الشارحون. وجمهور المفسرين على ان نقل ابليس للربّ كان حقيقة وبنوع جسدي. والامر ممكن كما نقرأ من حبقوق الذي نقلهُ الملاك ( دانيال ١٤: ٣٥ ) ومن فيلبس ( اعمال ٨ : ٣٩ ). اما لياقتهُ وإن ظهرت لاول نظرة تنازلًا عجيبًا من قبل المسيح فانَّ التبغير الدينَ لا يستغرب ذلك اكثر من استغرابهِ واعجابهِ عند ما يرى ابن الله المتجسد طفلًا وضيعًا او هاربًا من وجه هيرودس او جائعًا او مهانًا ومجلودًا ومصلوبًا لان هذه كلها من نتائج سرّ التجسد العجيب وتبعاتهِ. امَّا كيف اراه كل ممالك العالم ومجدها فقد ذهب الاكثرون ومنهم مار توما اللاهوتي ان الشيطان اشار الى ممالك العالم عن بعد ووصف له ثروتها ومجدها

هذا ما رأينا فائدة كتابتهُ لذكرهِ . وهنا لا يسعنا الَّا الاقرار بصلاح الله وجودتهِ الغير المتناهية فنسجد مع الرسول ( فيلبي ٢ : ٦ ) لاسرار ذلك « الذي اذ هو في صورة الله لم يكن يعتدّ مساواتهُ لله اختلاسًا لكنهُ اخلى ذاتهُ آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه البشر وموجودًا كبشر في الهيئة فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب »

# السرّ المصون في شيعة الفرمسون

درس تاريخي الركي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## ٨ الجراب الماسوني

قد ضُرب المثل بجراب الكردي (١ لما يحتوي عليه من العجائب والغرائب من الخيط والابرة الى الحجار والمرة ولذلك يضنّ به صاحبه ويحرص عليه حرصه على حياته بل لا يسمح لاحد ان ينظر الى ما فيه لئلّا يصيبه بالعين. وايمُ الله انّ جراب الماسونية ليس دون جراب الكردي سعةً بما يتضمّنه من المحتويات الغريبة ولذلك لا يحبّ الماسون انّ غيرهم يتجسّسون بواطنه ليعرفوا ما هنالك بل لا يسمحون لكل ابناء الارملة ان ينقّبوا عن مضامينه دفعةً واحدة وانّما يخرجون لهم بضاعة جرابهم قطعةً قطعةً لئلّا يُبهر نظرهم بما في الجراب من الاعاجيب ومن ثم جعلوا لهم ٣٣ درجة (او اكثر) ليطبع بصرهم النظر الى التهاويل الماسونية شيئاً فشيئاً حتى يبلغوا الى معاينة شمسها الساطعة او قل يتسكّعوا الدجى ظلماتها الشكاثفة

على انّ الله قد اسعدنا فاتاح لنا النظر الى قعر ذلك الجراب فرأينا فيه شيئاً من كنوزه الثمينة فاحببنا ان نوقف عليه قرّاءنا لانّهم يحظون ايضاً بلمحة الى تلك الخبايا فيزيدوننا عنها علماً

ونحن لا نتبع في هذا القسم من كلامنا ترتيباً خصوصياً فنعرض ما اختلسته نظرة من اسرار الجراب كما يحضرنا فننتقل من جدّ الى هزل ومن درّة الى بعرة فيأخذ كل حصّته من هذه الاقاصيص المأثورة والاساطير المنثورة ويزيد اعتباراً لتلك العصبة الشريفة التي خُصّت بكل تلك الحسنات المنيفة

١) ومثله عند العرب كشكول المكدّي او الشحّاذ يجمع فيه ضروب المآكل كما تحضر دون تمييز بين حلو وحامض وطيّب ونتن

## ١ المكتبة الماسونية العربيَّة

نبتدئ بوصف ما وقع لدينا من التآليف الماسونية باللغة العربية فان في وصفها افادةً لأنّ اهل الشيعة يحافظون عليها غاية جهدهم ولا يحبّون ان يطّلع عليها الاجانب مثلنا ولذلك تراهم اذا طبعوا كتاباً اختاروا لطبعه مطبعة احد الاخوان واقاموا على حراسته ناظراً منهم يوثق بامانته لئلا يقع منهُ نسخة في يد غريب. وقد سعينا في الحصول على بعض هذه المصنَّفات فخابت مساعينا وعلى كل حال نذكر هنا ما عرفناه من هذه المطبوعات. ولا تظنَّ ايها القارئ الكريم انّ هذه التآليف المطبوعة تحتوي تلك الاسرار الغامضة التي تخجل منها الماسونية. كلّا فان اولاد الارملة قلّما ينشرون اسرارهم الصحيحة التي يبلغون بها في محافلهم لاسيما في محافل الدرجات العليا وما كشفنا منها في مقالاتنا السابقة انا نقلناهُ عن نشرات أخرى رسمية طبعوها بعد مؤتمراتهم السنويَّة او من بعض تآليف سريَّة في اللغات الاوربية لم يجسروا أن ينقلوها الى العربية لأنّ اهل الشرق لا يستطيعون حتى الآن ان يحملوا مثل هذه الاحمال الثقيلة كنكران وجود الله وخلود النفس والقول بقدم الدنيا وخلود المادة ونبذ كل دين. والمطبوعات الماسونية العربية في الغالب تكتفي بتعظيم شيعة الماسون وذكر خواصها والتمويه على البسطاء بوصف فضائلها مع بعض «فلتات» من خزعبلاتها. فدونك هذه التآليف مرتَّبة على تاريخ سنين صدورها مع نُتَف من مضامينها :

١ «الكنز المصون في رموز ثلاث درجات الماسون» هو اقدم ما لدينا من كتب الماسون طبع سنة ١٨٨٧ (ص ١٣٢) ولم يُذكر فيهِ اسم مؤلفه ولا مكان طبعهِ والمعروف انهُ لشاهين بك مكاريوس سننقل عنهُ شيئاً ان شاء الله في الابواب الآتية

٢ «تاريخ الماسونية العام. تأليف جرجي زيدان. طُبع بمطبعة المحروسة سنة ١٨٨٩ (ص ٢٥٦)» في صدرهِ الشارات الماسونية »

نقلنا عن هذا الكتاب بعض فقرات وبيَّنا ما فيهِ من الاخبار المختلقة اذ رقَّى صاحبهُ الماسونية الى مهد الجنس البشري واضطرب في تاريخها ايَّ اضطراب حتى انهُ يظهر لكل عيان انّ صاحبها اما خادعٌ ونحن نجلُّهُ عن هذه الصفة واما مخدوع فيقتضي عليهِ شرفهُ ان يبحث البحث المدقّق عمّا سطّرهُ عن غير علم صادق ويثبت الروايات

الصحيحة من الماسونية ( ان كان الاخوان يسمحون له بالامر ) . وترى مع ذلك في هذا الكتاب بعض معلومات من تاريخ الماسونية الحديث ومحافلها ولاسيا في الشرق ما لا يخلو من الفائدة . اما ما جاء هناك من اللوائح والمؤتمرات فلا اصل له البتة ألا ما تبع السنة ١٧١٧ حيث أنشئت الماسونية فانّ لائحة كولونيا نفسها التي أمر ناها بالا يشكّ فيها العلماء الاثبات . ولا ننكر انّ قبل السنة ١٧١٧ وُجدت جمعيّات سريّة كانت ممهّدة لسبيل الماسونية ألا انها ليست هي . اما الجمعيّات التي أُنشئت في القرون الوسطى للبنّائين فلا علاقة لها مطلقاً بالماسونية غير الاسم الذي انتحلـه الماسون في القرن الثامن عشر وتستّروا به لبلوغ غاياتهم الخبيثة . فانّ جمعيات البنّائين السابقة كانت مبنيّة على اصول الدين وغايتها التعاضد والتعاون في مصالح اصحابها وكان ارباب الكنيسة يتولّون نظارتها وينشطونها على عكس فعلهم بالماسونية

وعليه ننكر — ولا نخاف في انكارنا لومة لائم — زعم المؤلف وصاحب المقتطف (١٤ : ٢٠٥) بانّ الماسونية غايتها الفضيلة وانّ اليها انتسب بعض مشاهير الرجال الذين سبقوا القرن الثامن عشر كالفيلسوف باكون والكردينال وُلسي . فان استطاع الماسون ان يثبتوا لنا الامر بالبرهان كنّا لهم من الشاكرين

٣ « النظامات العمومية المسنونة بمعرفة المجلس الشوروي السامي للطريقـة الاسكوتلنديّة القديمة المهد المرتّسة وملحقاتها . ترجمها من الفرنسويّة حضرة كلي الحكمة (كذا) الياس بك مشى رئيس محترم شابتر الكرنك الاكبر ومحفل العدل المؤقّر بشرق مصر . طبعت بالمطبعة العمومية بمصر ليوسف آصاف عام ١٨٩٠ ( ص ١٣٢ ) »

هذا الكتاب مصدَّر بالعلامات الماسونية كالسابق . وفي اوّله قرار المجلس العالي المنعقد في ٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بامضاء « بروال درجة ٣٣ الحاكم الاكبر والمعلم والاستاذ الاعظم . وبيوار درجة ٣٣ السكرتير الاكبر ورئيس السكرتاريّة العمومية » تليه « النظامات العمومية المعدّلة باتحاد آراء المجالس العالية المجتمعة في لوزان بسويسرة ومصدّق عليها بجلسة ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٧٥ » وهذه النظامات تحتوي ١٧٨ مادّة تشمل رسوم الماسون وامتيازاتهم ودرجاتهم ووظائفهم ومحافلهم وشروط قبولهم ومحاكماتهم ومعاقباتهم وبقية احوالهم . ألا انّ كثيراً من هذه الموادّ وُضعت للتمويه على الاجانب كالمادّة ٢٠١ مثلاً وفيها يقال « ممنوع حتماً كل محادثة تختص

بالسياسة او بالديانة » وهو كذب محض باقرار شيوخ الماسون كما رأينا. ومما يستفاد من المادة ٢٣٩ « ان مجلس الشيوخ لدرجة ٣٠ المدعو الاريوباغس يتألف من سبعة ماسون حائزين لدرجة *.*.*.*.*. قارس المنتخب الاعظم المقدَّس ». ومن المواد ١٨٠ الى ١٩٠ ذكر حسنات الماسون التي لا تُعطى الّا لاعضاء الماسونية خلافاً لما يزعمون بانَّ جميتهم خيرية. ومن المادتين ٢٢٥ و٢٤٥ انَّ الاساتذة الماسون يُرقَّون من الدرجة ٣ الى الدرجة ٣٠ باحد واربعين شهراً ( ما اسرع ما يبلغون الكمال ! ). ومن المادَّة ٢٣٢ انهُ « يجب عمل وليمة كل سنة لسائر اعضاء المجمع الاكبر اي الشابيتر » ومن المادَّة ٣٥٠ « انَّ شرب كاسات المحبة هي كما موضحة ادناه : ١ً كاس محبة فرنسا. ٢ً كاس محبة الحامي الاعظم القدُّوس. ٣ً كاس محبة الرئيس وجميع موظفي المحفل. ٤ً كاس محبة الشروق العظام. ٥ً كاس جميع الماسون السعداء والمنكودي الحظ الكائن ( كذا ) فوق البسيطة ( وكيف لم يبلغ هؤلاء السعادة التي وُعدوا بها ! ). وعند شرب هذا الكاس فالمحفل يعقد سلسلة الاتحاد » وقس على هذا بقية المواد

٤ « دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لمشيخة البنائين الاحرار ذوي العهد القديم والراية العامَّة لمصححهِ ن. ص ( تحزَّروا ! ) طُبع على نفقة المحفل الاكبر الوطني المصري بمطبعة التأليف اول شارع الفجالة بمصر سنة ١٨٩٣ ( ص ١٣٠ ) »

٥ « كتاب الآداب الماسونية. تأليف شاهين بك مكاريوس مؤسس محفل اللطائف ورئيسهِ درجة ٣٣ ( وصاحب القاب واوسمة ماسونية تستغرق ١٢ سطراً بالحرف الناعم ). طُبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٥ ». هو الكتاب الذي اشرنا اليه غير مرة ورد في مقدمتهِ مصادقة المحفل الاكبر الوطني المصري الذي منح لصاحبه « النيشان الماسوني العالي » بامضاء ن. ص ( السابق جهلهُ ) كاتب السر الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري

هذا الكتاب يشبه التاريخ الماسوني الموصوف قبلًا اعني انهُ يحتوي اكاذيب عديدة مع بعض افادات. قسمهُ مؤلفهُ الى ٢٤ باباً جمع فيهِ ما امكنهُ ليبيّض صحيفة الماسونية ويجلو تلك العروس القبيحة المنظر والشنيعة الخبر ولو عُرض كلامهُ على الشواهد التي لا تحصى مما نقلناهُ في حقّ الماسونية لظهر معها على طرفي نقيض. فان صدق الماسون كذَّبوا بتزييف تلك الشواهد. وبها قالوا برئينا في احتجاجهم تستَّرهم فان الحق

يُسرّ بالنور والماسون يخافون من النور فهم اذاً ابناء الظلمة

٦ « الجوهر المصون في مشاهير الماسون » لشاهين بك مكاريوس المذكور. هذا الكتاب طبع نحو السنة ١٨٦٠ الا أننا لم يمكنا الحصول عليه عند احد الادباء ولا في مكاتب مصر ولا بدع ان المؤلف شحنهُ كعادته بالفوائد المخترعة ولعلهُ ذكر عدداً عديداً من المشاهير الذين لم يشتموا مطلقاً رائحة الماسونية كتوما بوميليوس والكردينال ولسي والفيلسوف باكون وغيرهم كثيرين

٧ « الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية. تأليف شاهين بك مكاريوس السابق تعريبهُ طبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٧ » في صدر الكتاب رسم « سعادة الفاضل ادريس بك راغب الرئيس الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري » مع مقدمة في ترجمة الرئيس ورفع الكتاب الى مقامهِ

ليس في هذا الكتاب كلمةٌ واحدة توافق غرض الكتاب. فانهُ جمع خلطاً من الاخبار الراقية الى الوف من السنين قبل المسيح ليثبت انَّ الماسونية ابنة جماعات البنائين التي وُجدت في كل جيل وليس شيءٌ اكذب من هذا الرأي. وهذه بعض اسطر تثبت لك صحة قولنا :

« قال في الفصل الاوَّل ص ٧) قيل انَّ موسى اوَّل من نقل الاسرار المصريَّة الى شعب اليهود ثمَّ انتقلت الى اليونان بواسطة اورفه وهمة تريبتولم (اما النظر هؤلاء الماسون بالتاريخ!) ثم من هؤلاء الى الرومان الذين ازهرت في ايامهم واصبحت تُضرَب بعزّتها الامثال. وكان نوما بومبيليوس (وفي الحاشية انَّ ترجمتهُ في كتاب المؤلف الجوهر المصون في مشاهير الماسون. كذا) اذ ذاك ملكاً على الرومان . . . فاقام بينهم مدارس كثيرة لقوم شترمة انخصها علم البناء . . . وكانت هذه المدارس صناعية دينية تعلّم تلامذتها الاسرار التي انتقلت اليها من المصريين »

وقس على هذا بقية الكتاب ونحن نخجل انَّ كاتباً اديباً يدعو مثل هذا التأليف السخيف تاريخاً !!!

٨ « الدستور الماسوني العام للطريقة الاورشليمية. عني بضبطه وطبعهِ وترتيبهِ شاهين بك مكاريوس استاذ اعظم المحفل الاكبر الاورشليمي (صاحب الامتيازات المروقة) صفحاته ١٠٤» على قطع صغير. ولم يُذكر لا محلّ ولا سنة طبعهِ. اما مواضيعهُ ومواده فكالمصادر السابق ذكرها. ولا نرو فائدة من البضاعة فيها

٩ « كتاب فضائل الماسونية تأليف شاهين بك مكاريوس . طبع في مطبعة المقتطف سنة ١٨٩٩ ( ص ٢٣٢ ) » . وهو مصدَّر برسم المؤلف الكريم لابساً الوشاح الماسوني ومزيّناً باوسمة درجته مع الصدرة ( الوزرة ) الماسونية جالساً على كرسي الرئاسة وفي يده المطرقة ( الشاكوش ) الماسونية ( وقد رسمنا سابقاً هذه الصورة )

هذا الكتاب مجموع نحو مئة قصّة ( او قل بالحري اضحوكة ) ماسونية ولولا ضيق المكان لنقلنا منهُ بعض قصصه وحشّيناها بالحواشي التي تبيّن فضائل هؤلاء القديسين الذين لم يسبق مثلهم في تاريخ الامم المتمدّنة . وقد روينا لك منهُ سابقاً « بدعة الشرق السامي الفرنسوي » ثمَّ فصل « الجزويت ماسون » فقس عليهما بقية ابواب الكتاب فانها من « الفبركة عينها » . وها نحن نروي لك منهُ بعض امثلة ( مساطر ) تزيدك بهِ وبالماسونية علماً

ففي الصفحة ٥٣ اخبر شاهين بك كيف نجا من الموت احد الماسون المدعو جورج كاروثر اذ وقع في ايدي اللصوص فارادوا قتله لولا انهُ ابدى الاشارة الماسونية ففهم معناها زعيم اللصوص المدعو بيل اندرسن فترجّل عن جوادهِ وصافحهُ مصافحة الاخوان ورجع جورج كاروثر شاكراً للماسونية سبب خلاصهِ من الموت . على انَّ الراوي نسي ان ينقّي الماسونية من ادخال اللصوص في محافلها . زه ! زه !

وفي الصفحة ٥٤ اخبر كيف السوري الماسوني « الاخ الياس فرزان » وقع ايضاً في مدينة الكنتك ستي في ايدي بعض الاشقياء . وهو راجع ليلاً الى منزلهِ بعد حضورهِ حفلة ماسونية فسلبوهُ مالهُ الَّا انَّ الاخوة الماسون اوقفوهُ على اللصوص وردُّوا لهُ المسلوب . فترى ما يوجد بين الماسون والاشقياء من المرفة والقرابة ! وكلّ طير يأوي الى جنسهِ !

ومثل هذه الاخبار الظريفة قصّة رواها في الصفحة ١٩ « من الاخ نقولا مفنى احد تجار بيروت » كيف ضاع في ازقّة باريس وهو يجهل اللغة الفرنسوية فدخل المخازن وصنع الاشارات الماسونية فعرفهُ الاخوان واتوهُ بمن يتكلّم العربية وارشدوهُ سبيلهُ . فما اعظم قوّة الماسونية واشد نخوة اصحابها ! فانها كخاتم سيدنا سليمان تفتح الكنوز وتنجّي من كل الاخطار !

وفي الصفحة ٦٨ افادنا شاهين بك « اصل حبّ الماسونية » فاخبر انَّ احد السحايج وقع في الضيقة فكتب الى صديق لهُ من الماسون فقدَّم هذا عريضة لمحفل لبنان يلتمس

مساعدةً منهُ للبائس فنالها. قال شاهين بك: « وكنت صغيرًا فسمعتُ هذه القصّة ولم اصدّقها حتى سمعت صديقي يتحدّث بها فاستعظمت الامر وملتُ بجملتي الى محبّة الجمعيَّة من الصغر » يا لله من كرم حاتيّ جنب قلب شاهين بك الرقيق! حقًّا انَّهُ من الامور الغريبة لن يتحنَّ الماسون على الفقراء. ولذلك لم يكذ يصدّقهُ شاهين بك وعدَّهُ اعجوبةً جذبتهُ الى الماسونية

وفي الصفحة ١٠٠ اخبر المؤلف كيف ان ارملة احد الماسون كانت في حالة المرض الشديد فعلم بامرها « ابناء الارملة » فاحضروا لها طبيبًا ونقلوها الى المستشفى. فكيف لا نستعظم بعد ذلك فضائل الماسون ونشيد بفضلهم فانَّ المالم تستحقُّ ان تُكتب بالتبر لا بالمداد وعلى صفائح المدن لا على الورق!!

وقس على هذا ٢٢٨ صفحة كلّها فضائل من هذا الجنس!

١٠ « كتاب الاسرار الخفيَّة في الجمعيَّة الماسونية. تأليف شاهين بك مكاريوس طُبع في مطبعة التمدُّن بشارع محمَّد علي بمصر سنة ١٩٠٠ (ص ١٢٢) » ما اطول حبل المؤلف بالكذب فانَّهُ صنَّف هذا الكتاب كالكتب السابقة ليرفع شأن الماسونية وكل من يقرأ شيئًا منهُ يجدهُ لا يصدُق في شيءٍ. وقد نقلنا عنهُ سابقًا بعض اقوالهِ وفنّدناها. ويدَّعي المؤلف انَّهُ في هذا الكتاب يعرّف الماسونية واسرارها ورموز درجاتها الاولى الثلاث. وغايتهُ كما في الكتب السابقة ان يبيّض حبشيًّا بصابونهِ السحريّ والامر مستحيل اذ لا ينشر من الامور الماسونيَّة الّا ما يريد ويخفي ما في الزوايا من الخبايا

على انَّ هذا الكتاب لا يخلو من المضحكات كقولهِ (ص ١٠٣) « ان سليمان بن داود ملك اسرائيل كان اوَّل معلّم اعظم في الفرماسونية واسم امّهِ بتشابع » وانَّهُ « لم يكن لهُ من امهِ (كذا) سوى اخ واحد واسمهُ ابشالوم » حبَّذا العلماء وحبَّذا المؤرخون (راجع سفر الملوك الثاني ٣:٣). وكقولهِ عن حيرام ابي استاذ الماسونيين الذي يقيمون لهُ مأتمًا عند دخول الطالبين (ص١١٧) انَّهُ « ابن ارملة من السوريين من سبط نفتالي كان ابوهُ صوريًّا يعمل في النحاس ... وانَّهُ كان متمرّنًا بالاخويَّة الديونيسيَّة. وانَّهُ الناشر لاسرار تلك الاخويَّة » وهلمَّ جرًّا ممَّا لم يصدّقهُ الكاتب نفسهُ

١١ « محفل الصدق الموقَّر نمره ٣٠٥ بشرق شبرا. هو تقرير عن ايرادات ومصروفات هذا المحفل المصري من سبتمبر سنة ١٨٩٩ الى دسمبر ١٩٠٠ وفيهِ ملخَّص

اعماله وجدول اسماء اخوانه . طُبع (في مصر) في شهر سبتمبر سنة ١٩٠١ الفرنكيّة (ص ٨٠) » مع صورة رئيسهِ محمّد عثمان وقد بحثنا في هذا الجدول عما يعطيهِ الاخوة الماسون للفقراء اذ يدّعون انّ جمعيّتهم جمعيّة خيريّة فلم نجد ذكرًا لبارة واحدة في غير مصالح الجمعيّة وهناك تعداد مصروفات شتى كالضريبة التي يؤديها المحفل لشرق فرنسة الاعظم !!! وغير ذلك

١٢ « الخلاصة الماسونية . النبذة الاولى معرّبة بقلم ايليا الحاج . طُبع في مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر سنة ١٩٠٠ (ص٣٣) وقد فكّهنا القرّاء ببعض اقوالهِ وفي صدرهِ العلامات الماسونية كالنجوم المثلّثة والبرجل مع هذين البيتين :

انّ بالبرجل منّي يا فتى تُصبح الافكار فيهِ سائره
سوف يُبني للورى دائرةً ويصير الكلّ ضمن الدائره

يحتوي على مقدّمة غريبة في الماسونيّة وتاريخها واعمالها (كما علمت) ثمّ يليها واجبات الماسون في ٩١ مادّة على سبيل النصائح والحكم تجد مثلها الوفًا في سائر كتب الادب

١٣ « الدرجة الاولى . شرح لوحة الرسم ومقالات خاصّة بهذه الدرجة وضعتها لجنة من الاساتذة بملاحظة الاخ الكلّي الاحترام ادريس راغب بك استاذ اعظم المحفل الاكبر الوطني المصري (وهناك ستّة اسطر القاب) طُبعت ثانية بنظارة الاخ المحترم ن . ص (السابق ذكرهُ) السكرتير الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري في مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٢ (ص ١٠٧) »

هذا الكتاب الصغير مع صغر حجمهِ من أنسب الكتب لأن يُنشأ منهُ رواية هزليّة يستغرق حاضرها من الضحك مدّة تمثيلها . فهو يبتدئ بمقدّمة عموميّة عن الماسونية وابنيتها الغريبة ورموزها (ص ١—١٣) يزعم صاحبها « انها وضعت على عوائد وطقوس تماثل عوائد المصريين القدماء . الذين كانوا يخفون طرائقهم وتعاليمهم تحت اشارات واشكال هيروغليفيّة تُلقن لرؤساء الكهنة » . فيا شمبوليون ما لك لا تعود الى الحياة لتكشف لنا هذه الاسرار الجديدة كما اكتشفت سرّ الكتابة المصريّة !

ثم اردف قولهُ (ص ٢) بان « طريقة فيثاغورس كانت مؤسّسة على مبدأ يماثل

ذلك » وانّ « البناية الحرّة ليست فقط اقدم الجمعيّات بل اشرفها ايضاً لأنّهُ لا يوجد فيها حرف او رمز الّا ويحثّ على الصلاح والفضيلة ». فما لكم اذن ايّها الاحرار تضنّون علينا بهذه الاسرار لولا انكم تضمرون فيها غير ما تظهرون

وان اردت ايّها القارئ الكريم ان تعرف كيف هذه الامور تدلّ على الصلاح وتحثّ على الفضيلة فاسمع بداية هذه المكتومات. قال الشارح:

« واني استلفتُ نظركم الى شكل المحفل فانّهُ شكل متوازي المستطيلات منتظم (قد عُلّمنا يا ارشميدس ويا اوقليدس!) طولهُ متّجه من الغرب الى الشرق وعرضهُ من الشمال الى الجنوب وارتفاعهُ من مركز الارض الى سطحها بل ارفع من ذلك حتى يصل الى السماء (مثل سلّم يعقوب!) والسبب في كون محفل البنّائين الاحرار مرموز لهُ بهذه الابعاد العظيمة هو الدلالة على انّ فنّ البناية عمومي وانّ كرم البنّاء ليس لهُ حدّ الّا التبصّر ». ارمسوا وعلّلوا أيها الماجيون فانّ صناعتكم تفوق مدارك الملائكة انفسهم!

ثمّ يذكر الشارح سبب وضع البناء من الشرق الى الغرب (قد تقلّدت الماسونيّة بذلك وضع الكنائس المسيحيّة لدعواها بانّها منبع النور ... المظلم!) ويفصّل ١٠ يحتويه الهيكل الماسوني من النقوش المبهجة ومن الاعمدة الثلاثة ودونك شرح هذا اللغز (ص ٥):

فالثلاثة اعمدة التي تحمل محفل البنّائين الاحرار رمز لهذه الصفات الالهية وكذلك رمز الى سليمان ملك اسرائيل وحيرام ملك صور وح ... ١٠٠٠ (وا اسفاه على سكوت الشارح عن تفسير هذين الحرفين. فيا أيّا الفول من لنا بمفسّر بارع ينجينا من اهوالنا لعدم فهمنا ايّاهما!) فسليمان لحكمتهِ في بناء هيكل اورشليم وحيرام ملك صور لقوّتهِ واعانتهِ لهُ بالرجال والمواد وح ... ١٠٠٠ لمهارتهِ في تزيين الهيكل »

وقس عليهِ بقيّة المقدّمة التي لا يسعنا نقلها هنا حتى ينتهي الشارح بقولهِ (ص ١١):

وفي كل محفل منتظم مؤسَّس قانونيّاً توجد نقطة داخل دائرة لا يمكن للبنّاء الحرّ ان يتحوّل عنها وهي محدودة بين الشمال والجنوب بخطّين مستقيمين متوازيين احدهما يدلّ على موسى والآخر على الملك سليمان (!!) وباعلى ذلك يوجد الكتاب حاملاً لسلّم يعقوب الذي يتّصل آخرهُ بالسماء ولو علمنا مشتملات هذا الكتاب وعملنا بمقتضى نصوصهِ كالموازين المذكورين لأرشدنا الى الحق الذي بهِ لا نئنّ ولا نُغشّ وبدوراننا حول هذه الدائرة لا بدّ لنا ان نمسّ هذين الموازيين ولو حفظ تمّ الماسوني هكذا فلا يخطئ ابداً » (وهي العصمة الماسونيّة!)

ثمّ افادنا الشارح بانّ هناك كلمة سرّيّة دعاها « ليفيز » فشرحها هكذا:

وكلمة ليفيز (Levis) تدلّ على القوة ومرسومة هنا بقطع معدنيّة مشقّقة في الحجر بهيئة

مثبض يمكن بواسطتها البنّائين أن يحصلوا الانتقال الطبيبة لارتفاعات سلومة بدون ازدحام (ما شاء الله يا حالة !) ويبنون بهِ الاحجار على قواعدها وكذلك هي دمز على ان البنّاء المرءُ الذي يجب عليه ان يتحمّل حرارة النهار ومشقّاتهِ (بحيث لا يرد يحتاج وقت الصيف ان يطلع لا الى عاليه ولا الى صوفر ! !)

فهذا الفصل الغزلي الاوّل يتبعهُ سبع مقالات من جنسهِ على طريقة السؤال والجواب ننقل منها بعضها والدموع تجري من عيوننا لضحكنا على كاتبيها وعلى سخافة عقل من يشتغل بها ( ص ١٠ الخ ):

س يا اخ كيف كان اجتماعنا اوّلاً كبنّائين احرار ؟

ج على الزاوية القائمة ( على الخازوق ! )

س وكيف نؤمّل ان نفترق ؟

ج على الميزان ! ( ميزان البصل )

س ولمَ الاجتماع والافتراق على هذه الصورة المخصوصة ؟

ج لانّهُ بصفتنا بنّائين احرار يجب ان تكون اعمالنا على الزاوية حتى يمكننا ان نفترق على الميزان مع جميع بني الانسان وعلى الخصوص البنّائين الاحرار ( نيّال الّلي فهم ! ) . . . .

س كيف تبرهن الغير بانّك بنّاء حرّ ؟

ج باشارات ولمسات وخطوات تامّة حالة دخولي المحفل

س ما هي الاشارات ؟

ج جميع الزوايا القائمة والموازين والاعمدة هي علامات صادقة يُعرف بها البنّاؤون الاحرار

س ما هي اللمسات ؟

ج هي لمسات مخصوصة حبّيّة يتعارف بها الاخوان في الظلام والنور

س هل تبيّن لي كيفيّة التقدّم الى الشرق ؟

ج أعطني الاولى أعطك الثانية

س انا اخفي الاولى

ج انا احفظ الثانية . . . . .

س بما انّ هذا المحفل مفتوح فيمكنك ان تنشر ما تريده من غير خوف

ج ب وني وعلى (كذا بالحرف ! )

س ب وفي وعلى اي شيء ؟

ج اقول (ب) برغبتي . (وفي) في باب المحفل . (وعلى) على طرف آلة حادة توضع على صدري البار المكشوف

بالله عليكم يا ماسون ايمكنكم ان تلقوا هذه الاسئلة وتجيبوا عليها بغير ضحك ! فان كنتم تخبرون الروايات الهزلية المحتاجون الى الاستغناء بتمثيلها فهذه المراسح معدة لذلك يدخلها من شاء فما بالكم لا تمثلونها امام الجميع فاؤكد لكم ان الناس يدفعون اجرة حسنة لحضورها فتربحون ! . . . اسمع واضحك ( ص ٢٢ ) :

س هل للبنائين اسرار ؟

ج لهم اسرار كثيرة ذات بال

س اين يحفظون هذه الاسرار ؟

ج في قلوبهم ( ثم يقول : « انّ هذه الاسرار يشيرون اليها باشارات ولمسات وكلام مخصوص » ثم يردف ) :

س وبصفتنا بنائين احرار كيف نعرف هذه الاشارات ؟

ج بواسطة مفتاح (!!!)

س هل هو معلّق او موضوع ؟

ج معلّق . . . .

س في اي شيء يُعلَّق ؟

ج يُعلَّق في خيط الحياة وفي محلّ التكلّم اعني ما بين الحلقوم والصدر

يا موليار ويا شكسبار لو عشتما في عهد الماسون لوجدتما لروايتكما الهزلية مادة اكسبتكما شهرة فوق شهرتكما ومالاً قارونياً اورثتماه اولادكما الى ابد الدهر !! . . وما هذا الّا الفصل الاول تتبعه فصول اخرى على شكله تضحك الثكلى دونك منها مثالاً آخر تأخذهُ من القسم السابع ( ص ٩٧ )

س لماذا تسمينا بنائين احراراً ؟

ج لأننا احرار نحو . . . واحرار من . . . . ( كذا )

س احرار نحو من ! . . . واحرار ممّن ؟

ج احرار نحو معاشرينا الصالحين واحرار من العيوب
س لو نقص بناء سرّ حائز لهذه الصفات فاين نجده ؟
ج بين الزاوية والبرجل ( هناك المخبأة ! )
س ولمَ هناك ؟
ج لانهُ بحصلهِ على احدهما لا شكّ يوجد في الآخر ( وبهِ السعادة ! )

ولكن دعنا نكمّل وصف بقيّة المطبوعات الماسونيّة العربيّة :

١٤ « رسوم الدرجة الاولى الرمزيّة للمحافل الماسونية المصريّة نقّحها الاخ الكلّي الاحترام ادريس راغب بك ( القاية ) طُبعت ثانية في مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩٠١ ( ص ٣٢ ) »

١٥ رسوم الدرجة الثانية ... ١٩٠١ ( ص ٢٣ )

١٦ رسوم الدرجة الثالثة ... ١٨٩٨

١٧ محفل السلام الاسكندري نمرة ٩٠٨ ( ص ١٩ ) بلا تاريخ ولا اسم مطبعة

١٨ « الدرجة الاولى الماسونية حسب طريقة المحفل الاكبر الاورشليمي · عُني بطبعها شاهين بك مكاريوس ( القاية ١٣ سطرًا ) طُبع في مطبعة المقتطف سنة ١٩٠٥ ( ص ٣٠ ) » يشبه الفصول المثبتة آنفًا

١٩ « القانون الداخلي لمحفل صنين ش ·.· الشوير من سنة ١٩٠٩ الى ١٩٠٩ طُبع على نفقة محفل صنين في ١ ايار سنة ١٩٠٥ ( ص ١٧ ) »

٢٠ « المجلّة الماسونية تحت رعاية محفل الحريّة الوقر التاسع للمحفل الاكبر الوطني لصاحبها ومحرّرها الاخ يوسف لقلوقه · السنة الاولى ١٩٠١ طُبعت في الاسكندريّة » وظهرت مدّة ثمّ انطفأ سراجها المنير

٢١ « الجريدة الماسونية لصاحبها ومحرّرها نقولا سابا بالاسكندريّة » · تظهر منذ تسع سنوات ولدينا منها بعض اعداد متقطّعة · وقد خلفت جريدة اللطائف التي كانت اوّل جريدة ماسونية بالعربيّة لصاحبها شاهين بك مكاريوس وهو عمدة الماسونية وفارسها المغوار

هذا ما وقفنا عليه من المطبوعات الماسونيّة ( لهُ بقيّة )

# النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

## النصرانية بين عرب الشام (تابع)

على انّ النصرانيّة في بادية الشام ما كانت محصورة في غسّان بل امتدّت ايضاً الى القبائل العربيّة من اهل الحضر والمدر الذين سكنوا في تلك الانحاء واختلطوا بمتنصريها فمن اراد ان يكتب تاريخ النصرانيّة بينها ينبغي عليه ان يجمع ما دوّنهُ المؤرخون اليونان والرومان والسريان من انتشار الدين المسيحيّ في تلك الجهات اذ لا يجوز القول بانّ النصرانيّة لم تؤثّر في غير الاجانب المستوطنين فيها

فما رواهُ اوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي (ك ٦ ف ١٩) انّ النصرانيّة كانت في مبادئ القرن الثالث للمسيح راسخة القدم وافرة العدد في بصرى حاضرة حوران. وقد اشتهر من اوريجانوس المعلّم الاسكندري الشهير انّهُ رحل ثلاث مرّات الى بُصرى. فالمرّة الأولى استدعاهُ حاكها الرومانيّ الدعو جاليوس سنة ٢١٧ ليتفقّه تعاليم الدين المسيحيّ ويتبصّره. فجاء اوريجانوس الى بلاد العرب ملبّياً دعوتهُ وبعد أن اتمّ مرغوب الحاكم وعمّدهُ رجع الى الاسكندريّة. امّا الرحلة الثانية فباشرها اوريجانوس كما افاد اوسابيوس في تاريخه (ك ٦ ف ٣٣) بسبب بيرلُّس مطران بصرى. فانّ هذا الرجل كان من مشاهير اساقفة زمانه في بلاد العرب ألّف رسائل ومقالات دينيّة وادبيّة فصيحة الالفاظ بليغة المعاني لولا انّهُ شطّ في كلامه عن لاهوت السيّد المسيح فجرى بينهُ وبين الاساقفة معاصريه جدال وخصام ولمّا لم يقنعوه ارسلوا الى اوريجانوس ليأتي الى حوران فباحث بيرلُّس المذكور وردّهُ عن ضلاله فعاد المعلّم الاسكندري الى حاضرة بلاد العرب وبعد ان اجتمع باساقفتها وتحقّق شططهُ عرض عليه الرأي الصحيح وأزال ريبهُ فجاهر بيرلُّس

بخضوعهِ للايمان المستقيم امام جمع من الاساقفة عُقِد لذلك وانصرف اوريجانوس راجعاً الى الاسكندرية. ففي التئام هذا الجمع دليل واضح على نفوذ النصرانيَّة في بادية الشام ووجود اساقفة في مدنها كجرش (Gérasa) وربَّة عمَّان (Philadelphie)

امَّا المرَّة الثالثة التي قدم فيها اوريجانوس الإمام الى بادية الشام فكانت بسبب بدعةٍ ابتدعها بعض اهلها فزعموا انَّ النفوس تفنى بالموت كالاجساد ثم تُبعَث يوم الدينونة معها لتنال الثواب عن اعمالها. فلمَّا عرف اوريجانوس بهذا القول اسرع الى تفنيدهِ في مجمع ضمَّ اربعة عشر اسقفاً وبيَّن امام الجموع الملتئمة لاستماعهِ حقيقة تعليم الكنيسة فردَّ الضالين وثبَّت الايمان في قلوبهم وانكفأ منصرفاً الى مركزهِ. (راجع تاريخ اوسابيوس ك ٦ ف ٣٧)

وكان قبل ذلك بمدَّة اشتهر مبتدع آخر نصرانيٌّ من عرب الشام اسمهُ منيم (Monoimos) كان هذا كطاطيانوس (Tatien) تلميذاً للقديس يستينوس النابلسي والفيلسوف الشهيد لكنَّهُ خلط بين الآراء الفلسفيَّة والايمان كما ذكر ثاودوريطوس في كتاب الهرطقات (Fab. Hær. I, 18) واتَّضح مؤخَّراً من كتاب القديس هيبوليتس الشهيد المدعو بفيلوسوفومينا (Philosophoumena)

وممَّا يثبت ارتقاء النصرانيَّة واتساع دائرتها في بادية العرب انَّ منها خرج اوَّل قياصرة الرومان النصارى. ونريد بهِ فيلبُّس العربيَّ الذي ملك على رومية من السنة ٢٤٤ الى ٢٤٩. وكان اصلهُ من بُصرى ثمَّ تجنَّد في جيوش الرومان ولم يزل يتقلَّب في كلّ مناصب الجنديَّة حتى صار كبير رؤساء العسكر ووزير الحرب وصحب غرديان الثالث في محاربة الفرس. الَّا انَّ الجند شغبوا على الملك واقاموا بدلاً منهُ فيلبُّس العربيَّ. وكان فيلبُّس نصرانيّاً كما تشهد على ديتهِ الآثار التاريخيَّة ورسائل اوريجانوس اليهِ. وقد زعم البعض انَّ غرديان قُتِل بامرهِ الَّا انَّ غيرهم ينكرون ذلك بتاتاً ولعلَّهُ لم يخلُ من الطمع فلم يدافع عن مولاه كما وجب عليهِ ولذلك قد اخبر اوسابيوس القيصري (ك ٦ ف ٣٤) وصاحب التاريخ الاسكندري (Chronicon Alexandrinum) انهُ لمَّا عاد راجعاً بالعسكر الى رومية مرَّ بانطاكية واراد ان يشترك مع النصارى في موسم عيد الفصح الَّا انَّ اسقف المدينة القديس بابيلاس

تصدّى له ولم يسمح له بمشاركة المؤمنين الّا بعد اعترافهِ بخطاياه وتقدمتهِ التوبة عنها (١ . وكانت أيام فيلبُّس العربيّ أيام راحة وعمران للدولة الرومانيَّة وفي عهدهِ أُقيمت الافراح العموميَّة في كلّ المملكة بنسبة مرور الف سنة على مدينة رومية ومن اعمالهِ تشييد مدينة «عمّان» في حوران ودعاها باسمهِ «Philippopolis» ونالت بهِ النصرانيَّة سلاماً موقتاً فانتشرت ايّ انتشار الى ان فتك بهِ احد القوّاد الدهو دقيوس وقتلهُ مع ابنهِ وتولّى الامر مكانهُ . قال اوسابيوس (ك ٦ ف ٣٩) انّ دقيوس هذا اثار على النصارى اضطهاداً دمويًّا بغضاً بفيلبس سلفهِ . وفي تاريخ اوروزيوس (اوروشيوس) من كتبة القرن الخامس (ك ٧ ف ٢١) انّ دقيوس قتل فيلبوس وابنهُ بسبب تنصُّرهما وعليهِ يكون موتهما استشهاداً . وقد جمع البولنديُّون في اعمال القديسين (Acta SS. Janv., II, 617 - 621) عدَّة شواهد تثبت ذلك . فكفى بهِ فخراً لبلاد العرب انّ اوّل قياصرة رومية المتنصّرين كان مولدهُ في ربوعها وسبق قسطنطين في تنصُّرهِ

كلّ ما سبق قد تمَّ قبل القرن الرابع فلمّا نالت النصرانيَّة حرّيتها وخرجت ظافرةً من الديليمس زاد الدين بذلك رونقاً وعزًّا في بادية العرب وكافَّة مدنها ولنا ادلَّة على ذلك في الكنائس العديدة التي تشيَّدت مذ ذلك العهد بكلّ انحاء حوران والصفا واللجا وجولان التي وُجِد كثيرٌ من بقاياها الجليلة الاثريُّون الذين تجوَّلوا في تلك الجهات كوادنغتون (Waddington) ودي فوكويه (de Vogüé) وونتشتين (Wetzstein) ورراي (Rey) ودوشُّو (Dussaud) وآباء رهبانيّتنا . وكلّهم وصفوا هذه الآثار ورسموا تصاويرها وذكروا تواريخها (٢

ومن هذه الآثار مئات من الكتابات اليونانيَّة واللاتينيَّة وجدت في نيف ومائة موضع فيها اسماء كنائس واساقفة ووجهاء من النصارى وعليها رموز نصرانيَّة لا لأنها كالصليب في هيئات مختلفة وأول حروف اسم السيد المسيح والأنجر وسعف النخل والسمكة . ومنها ما يحتوي شعارًا دينيًّا صريحًا ككلمة التوحيد « الله

١) اطلب ايضاً تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ١٢٦)

٢) راجع كتاب وادنغتون ودي فوكويه (*Waddington et de Vogüé: Syrie Centrale: Architecture civile et religieuse du 1er jusqu'au 7e siècle*, Paris, 1864)

واحد هو " وتسبحة العبد المسيح " قد انتصر المسيح " او " المسيح الله هو ".
وبين تلك الكتابات كتابة عربية سبقت الاسلام خمسين سنة باحرف عربية تاريخها سنة ٤٦٣ لبصرى اي ٥٦٨ للمسيح وُجدت في حَرَّان وجاء فيها ذكر مشهد أُقيم تذكارًا للقديس يوحنا المعمدان على يد احد شيوخ القبائل العربية المدعو شراحيل (١

وكذلك توفّرت شواهد المؤرخين الذين ابقوا لنا ذكرًا للنصرانية ولامورها الدينية والمدنية في بادية الشام. فمنها جداول الاساقفة الذين حضروا المجامع المسكونية الكبيرة التي سبقت الاسلام وبالاخصّ الاربعة الاولى في نيقية والقسطنطينية وافسس وخلقيدونية فهناك اسماء عدة لاساقفة اتوا من مدن بادية الشام وصادقوا على اعمال تلك المجامع بتوقيعهم ولاسماء بعضهم عربية محض كالحارث او منقولة من العربية كثاودولس تعريب عبدالله وثيودورس تعريب وهب الله

وكان هؤلاء الاساقفة من اهل الحضر يسكنون مدن بادية الشام. الّا ان غيرهم كانوا يسكنون المضارب ويتنقّلون مع القبائل الراحلة الناجعة المتنقلة في المجالات ارتيادًا لمراعي غنمها ومصالح ابلها. وقد بلغتنا اسماء بعضهم ممن عُرفوا باساقفة الخيام وحضر بعضهم المجامع الكنسية وامضوا عليها

واشتهر بعض اساقفة البلاد العربية بما خلّفوه من الآثار منهم القديس طيطس رئيس اساقفة بُصرى وضع عدة تآليف اعظمها شأنًا ما كتبه في تزييف بدعة ماني والمانويين وكانت هذه التآليف مفقودة حتى توفّق الى اكتشافها في عهدنا بعض المستشرقين فوجدوها في السريانية ونشروها مع ترجمتها . وكان طيطس في عهد يليانوس الجاحد ولم يخَف من تحذير شعبه عن كفر ذلك القيصر المارق

واشتهر في القرن الخامس البلاد خلقة على كرسي القديس انطيفاتر صاحب مصنّفات عديدة في مواضيع دينية شتّى كمقالات في ايضاح الايمان وميامر في الاعياد وردود على المراطقة

وفي تاريخ كتبة اليونان كسوزومان وسوقراط وثيوفان وغيرهم من مؤرخي القرن الرابع الى اواخر السادس للمسيح فصول شتّى واخبار منثورة عن احوال الدين

١) اطلب كتاب لوبا ودينغتون (Ph. Le Bas et Waddington: *Inscriptions Grecques et Latines*, III, p. 563)

بين عرب الشام تتيدنا علماً من سطوة النصرانيَّة واجتذابها لقلوب اهل البادية لاسيما بواسطة السيَّاح والنسَّاك الذين كانوا يعيشون في قفارهم ويخدمون الله كالملائكة متقمصين اجساداً هيوليَّة. فكانت فضائلهم العجيبة والكرامات التي تجري على ايديهم من شفاء الاسقام وطرد الارواح النجسة ولسداد النعم الروحيَّة والبركات الزمنيَّة تجذب اليهم اهل المدن والقرى فلا يلبثون ان يسمعوا تعاليمهم ويستنيروا بارشاداتهم ويهتدوا على ايديهم الى جادَّة الحقّ فيطلبوا الاصطباغ بمياه المعموديَّة

قال سوزمان في تاريخه (Sozomène. H E, VI, c. 38) من عرب الشام: «قد تنصَّر كثير من العرب (هو يدعوهم بالسرقيين Σαρακηνοί) قبل زمان والنس (من ٣٦٤ الى ٣٧٨) ممَّن اجتذبتهم الى الايمان المسيحي ارشادات الكهنة والرهبان الذين كانوا يعيشون في النسك والزهد في الانحاء المجاورة لهم عائشين بالقداسة ومجترحين المعجزات الباهرة». ثم ذكر سوزمان ما اشرنا اليه سابقاً في دفاعنا عن نصرانيَّة غسَّان اعني دخول قبيلة كبيرة كان زعيمها يدعى زوكوموس (وهو ضجعم) فنال له احد الرهبان بصلواته الى الله ولداً ذكراً فاعتمد هو وكلّ قبيلته

واردف المؤلف ذلك بخبر ماوية ملكة العرب التي حاربت الرومان وتغلَّبتهم واستولت على بلادهم الى تخوم مصر ولم ترضَ بصلحهم الَّا على شرط بان يرسل الرومان الى مملكتها ناسكاً شهيراً يدعى موسى خصَّهُ الله بصنع العجائب وبقداسة الحياة فيُسقَّف على العرب الذين تحت حكمها وكان عدد النصارى الذين وجدهم في دولتها قليلاً اما هو فاتَّد معظم رعاياها وعمَّدهم

وفي القرن الخامس اخذ الرهبان يعيشون عيشةً اجتماعيَّة بعد ان كانوا يعيشون منفردين في الاقفار والمرجح انَّ الاديرة التي ذكرها حمزة الاصبهاني وابو الفداء وغيرهما بُنيت في هذا الزمان. وكذلك الاديرة التي وصفها ياقوت الرومي في معجم البلدان كدير أيوب في حوران (في قنوات على ما يظنّ وهي بلد أيوب) ودير بوّنا ودير سعد ودير بصرى وقد بقي بعض هذه الاديرة مدَّةً حتى بعد عهد الاسلام

وممَّا زاد النصرانيَّة ترقّياً في بلاد العرب عند كثير من الاساقفة والكهنة والرهبان كانوا في أيام الاضطهادات على عهد القياصرة الوثنيين او ملوك الروم المتشيعين لا يجدون على حياتهم اماناً الَّا بان يهجروا بلادهم ويفرُّوا الى انحاء العرب

وربَّما نفى المتعصبون هؤلاء المعترفين بالايمان من بلادهم الى بلاد العرب ليذوقوا هناك مشقَّات العيش من الجوع والعطش والعري. وكثر عددهم في ايام بدعة آريوس. وكان بعض هؤلاء رجالاً ذوي علم واسع وفضل كبير كايليا بطريرك القدس واوجان اسقف الرها وبروتوجان اسقف حرّان. فكان المنفيّون اذا احتلّوا بين العرب سعوا في انارة عقولهم وبيّنوا لهم بطلان اوثانهم وأقنعوهم بجحد اضاليلهم

بل يذكر التاريخ جملة من الشهداء قُتلوا في سبيل الايمان في بادية الشام ومدنها كالقديسين كيرلُس واكويلا ودومطيان المستشهدين في مدينة عمَّان على عهد ديوقلطيانوس وتذكرهم الكنيسة في ١٠ آب وكزينون وزيناس الشهيدين على عهده ايضاً سنة ٣٠٥. وذكر اوسابيوس القيصري (ك٨ ف ٢١) انَّ في زمن هذا الملك قُتل عدد لا يُحصى من الشهداء في بلاد العرب. وفي السنكسار الرومانيّ عدَّة شهداء قُتلوا في بادية الشام في ذلك الاضطهاد عينه فيكرمون لشهادتهم في غرَّة آب. واستشهد فيها على عهد يليانوس الجاحد القديسان اوجان ومكاريوس المكرَّمان في ك ١. فلا غرو انَّ دم هؤلاء الشهداء أخصب زريعة الايمان وانماها في جهات العرب

وممَّا يقتضي التنبيه اليه انَّ النصرانيَّة في بادية الشام ثبتت في عزّها الى ظهور الاسلام ونمت واتَّسعت حتَّى يجوز القول بانَّ الوثنيَّة تقلَّص ظلُّها حتَّى كاد يضمحلّ وممَّا يدلُّ على ذلك انَّ نصارى العرب الذين اجتمعوا مع الرومان لردّ غارات المسلمين في غرَّة الاسلام كانوا الوفاً مؤلَّفة يبلغ الكتبة عددهم الى مئة الف بنيّف. فهذا العدد الوافر من المقاتلين يدلُّ على انَّ النصارى في بادية الشام كانوا أُلوف الالوف فلا يكادُ يبقى بينهم مكان لاهل الشرك وعبدة الاصنام

هذا ولا ندعي انَّ النصرانيَّة الغالبة على بادية كانت صافيةً خالية من كلّ شائبة وضلال. كلَّا بل نعلم حقّ العلم انَّ البدعة اليعقوبيَّة تسرَّبت الى تلك الجهات وكدَّرت صفاء الايمان بما ادخلتهُ من المعتقدات الباطلة في طبيعتي السيد المسيح. بل دخل الى بلاد العرب كثيرون من المبتدعين الذين كانوا يؤمّلون رواج اضاليلهم في انحائها دون ان يلاقوا فيها زاجرًا يزجرهم ولا وازعاً يزعهم. وكان بعضهم يفرّون الى جهات العرب ليتخلّصوا من مصادرة ملوك الروم الذين كانوا يريدون قهرهم على جحود اضاليلهم فيغفل اولئك المتشيعون الهرب الى بادية العرب (له بقيَّة)

# مطبوعات شرقيّة جديدة

**HERDERS KONVERSATIONS-LEXICON.** 3te Aufl. Reich illustr. durch Textabbild., Tafeln. Ergaenzungs-Band. *Herdersche Verlagshandl.*, 1910. *Fribourg-en-Brisgau*, Lex. 4°, ca 1500 col.

دائرة الاحاديث الاهليّة لهردر

وصف المشرق (١٢ : ٣٨٨) الطبعة الثالثة من هذه الدائرة التي كبرها الطبّاع الالماني هردر بمساعدة فئة من نخبة العلماء الكاثوليك فضمّنها كل ما يحتاج اليه الناس لحياتهم الدينيّة والمدنيّة على مثال دائرة « لاروس » الفرنسويّة. ومع ان هذا الكتاب الجليل حديث الطبع اذ لم يمرّ على قسمه الاول ثماني سنوات وعلى آخره ثلاث. اراد جناب ملتزمه ان يُضيف اليه ملحقًا يتضمّن ما استجدّ من الترقّي في كل ابواب المعارف في هذه المدّة الاخيرة كالمعلومات السياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة والفنيّة فتجد فيه احدث ما اتّصل الى اكتشافه العلماء في فنّ الطيران والسُفن البحريّة وملحقاتها من الغوّاصات والمراكب الهوائيّة والقذائف الحربيّة والتلغرافيّة اللاسلكيّة والدرّاجات والادوات المولّدة للحركة وكلّ ذلك مع التصاوير الجميلة. وقد سرّنا انّا رأينا اسماء بعض المشاهير العصريين بينهم مشاهير الرهبان كالاب الدومنيكي شيل (Scheil) والاب البندكتي دون كبرول (don Cabrol) والآباء اليسوعيين دالمان وفنك وفيتا (Dahlmann, Fonck, Fitz) الخ وزاد سرورنا ما وجدنا في هذا الملحق من المعلومات الجديدة عن بيروت كزيادة عدد اهلها وترقّي مدارسها وما استجدّ فيها من المشاريع بهمّة الكاثوليك كمستشفى الراهبات الالمانيّات وما أُنشئ من خطوط الترامواي مع بيان الواردات والصادرات في مينائها. فنهنّئ على هردر ونتمنّى لهذه الدائرة رواجًا كبيرًا ل. ر

PETER THOMSEN: **Systematische Bibliographie der Palaestina-Literatur.** Bd II. 1905-1909. Leipzig, Hinrichs, 1911. XX-315, pp. 80

الجزء الثاني من القائمة المطبوعات عن فلسطين

في كلامنا عن الجزء الاوّل من هذه القائمة اشرنا الى خطارة العمل وعظم شأنه

وكثرة فوائده لمن يريد الوقوف على ما نُشر من المطبوعات في كلّ اللغات عن فلسطين. وهذا الجزء الثاني يتناول كل ما طُبع من ذلك من السنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٩ ودونك اقسامه التي تنبئ بوفرة مضامينه: يشمل الفصل الأول كلّ الفهارس والقوائم والصُحف والمجلّات والدوائر العلميّة والنشرات الخاصّة التي بحثت عن فلسطين. يليه الفصل الثاني في المنشورات التاريخيّة العموميّة والخصوصيّة القديمة والحديثة مباشرةً بالطور السابق للتاريخ الى عهدنا مع تاريخ الصناعة. وفي الثالث المطبوعات الجغرافيّة التاريخيّة وفيه بيان الامكنة المقدّسة في العهدين القديم والحديث ورحل اهل الاسفار والخارطات. والفصل الرابع مختصّ بالآثار والعاديات والكتابات في لغات شتّى منها الكتابات العربيّة. والفصل الخامس في المطبوعات عن الجغرافيّة الطبيعيّة والسياسيّة مع تعريف طبقات الارض والآثار الجويّة. والفصل الاخير مختصّ بفلسطين الحديثة كتعريف اهلها وسكّانها من وطنيين واجانب ووصف تجارتها وخطوطها الحديديّة ومرافئها وصنائعها ومصارفها ومدارسها ومستعمراتها لا سيما اليهوديّة واديانها وبالاخصّ الاسلام وفي آخر الكتاب فهارس لاعلام الاشخاص والامكنة والمؤلفين والموادّ مع اصلاحات على الجزء الاوّل. فلا يسعنا الّا الثناء على هذا العمل الجليل ونشكر صاحبه خصوصاً لذكره المقالات التي وردت في مجلّة المشرق وفي مجموع مكتبنا الشرقيّ عن فلسطين فنحضّ كلّ القرّاء على اقتناء هذا السفر الخطير وعلى مكاتبة صاحبه ليوقفوه على ما يكون فاته من المعلومات ليغنيها الى طبعه القادمة. وهذا عنوان المؤلف:

Dr P. Thomsen, Dresden *A. I. Christianstrasse*, 37 (Allemagne)

**Trusen (H. W.)**: Geschichte von Gethsemani. Inaugural-Dissertation z. Erlangung d. Doktorwürde. *Halle a. S.*, 1910, pp. 46

تاريخ الجسمانيّة

ورد ذكر الجسمانيّة في تاريخ آلام السيّد المسيح (متى ٢٦ : ٣٦) وفيها البستان الذي خرج اليه الربّ مع تلاميذه بعد العشاء السرّي فصلّى ثلاثاً حتى قدم يهوذا الاسخريوطي فسلّم فيه سيّده. فهناك مغارة للآباء الفرنسيسيين يقال انّ فيها صلّى الربّ وعرق دماً قبل تسليمه. وفوق المغارة صخر مستطيل يُدعى صخر الرُسُل

يزعمون انّ الرسل الراقدين لسيدهم كانوا بقربهِ . ثمّ اسفل منهُ حديقة يحيط بها سور تُدعى اليوم بستان الزيتون ينتهي جانبها الاعلى الى قرنة حيث يوجد قطعة من عمود داخلة في الحائط يقولون انّ بقربها سلّم يهوذا سيدهُ بعد تقبيله . على انّ هذه الاماكن قد اختلف الكتبة القدماء في تعيينها فاحبّ احد ادباء الالمان ان يعيد النظر في رواياتهم فجمع كل ما ورد في التاريخ وتقليد السيّاح عن هذا المكان مباشرةً بتاريخ يوسيفوس والانجيل . فكانت نتيجة ابحاثهِ الامور الثلاثة الآتية : اوّلًا ان مغارة الجسمانيَّة ليست هي كما يُظَنّ مكان صلاة السيّد المسيح ثلاثاً ومقام نزاعهِ بل المحلّ الذي اقام فيهِ الرسل وناموا كما تشهد عليهِ الشواهد المتعدّدة الى القرن الرابع عشر دون استثناء . ثانياً انّ موقع صلاة الربّ ونزاعهِ انّما كان عند الصخر المنسوب الى الرسل خارجاً عن البستان الحاليّ او اعلى منهُ قليلًا شرقاً او بيلةً الى جنوبهِ . ثالثاً ليس من سند لتعيين مكان قبلة يهوذا وتسليمهِ الربّ وانّما ذلك محمول على الحدس والظنّ . ومن يتصفّح هذا الكتاب يقرّ لكاتبهِ بدقّة الفكر وكثرة البحث فيسلّم لهُ بصحّة القول . ويؤيّدهُ ما اثبتهُ حضرة الاب برنباي الفرنسيسيّ في دليل زوّار الاراضي المقدّسة الذي طبعهُ سنة ١٩٠٧ (ص ١٥٧) . وكان بوسع المؤلف توطيداً لرأيهِ ان يذكر ما وجدهُ الآباء الفرنسيسيّون من آثار كنيسة جنوبيّ صخرة الرسل فيرجحون انّها بقايا كنيسة ملكيّة شُيّدت تذكاراً لصلاة الربّ هناك الاب ي . ديلاسيفر

R. Couzard : Ste Hélène. *Paris, Bloud et Cie*, 240 pp.

سيرة القديسة هيلانة

للقديسة هيلانة فضلٌ لا يُنكر على العالم المتمدّن ففي حضنها وعلى ذراعيها نشأ قسطنطين فهذّبت اخلاقهُ وحبّبت اليهِ الآداب المسيحيّة واعدّت بامثالها واقوالها قلبهُ الى الدعوة السامية التي دعاهُ الله اليها فكان ملكاً ممتازاً بصفاتهِ ومسيحياً صادق المعتقد وشهماً مكرماً . والكتاب الذي نصفهُ يلخّص اخبار الأمّ وابنها ويذكر احزان هيلانة في زواجها وافراحها في امومتها وشرفها في ملكها وهمّتها الشمّاء في بناء المعابد الفخيمة ذكراً مؤبّداً للاماكن المقدسة . والكتاب ثمّ تطلب مطالعتهُ للشرقي لشهرة القديسة في ظهرانينا ولفضلها العظيم باكتشاف الصليب المقدس علامة خلاصنا وسبب رجائنا

**Abbé A. Béry:** S. Justin, sa Vie et sa Doctrine, *Paris, Bloud et Cie*, 63 pp.

القديس يوستينوس

لخص المؤلف سيرة هذا القديس العلّامة الشهيد وذكر تعليمه الديني في الثالوث والتجسُّد والشريعة والآداب المسيحية . ومعلوم انّ القديس يوستينوس من اقدم الكتبة المسيحيين واحد مواطنينا الاجلّاء. ولد في نابلوس سنة ١٠٣ وتنصّر سنة ١٣٠ واستشهد سنة ١٦٥ — وكان قبل انضوائهِ الى الدين المسيحي فيلسوفاً نطاسياً وعالماً مذكوراً فاذ تنصّر خصَّ علمهُ بالدفاع عن دين المسيح وفي سبيلهِ مات وصار لمؤلفاتهِ قدر عظيم فاليها يرجع مخبّو الآثار والنقد لمعرفة احوال المعتقد النصراني في ايامهِ فيتحقّقون انهُ هو هو معتقدنا الحالي بالاله الواحد المثلث الاقانيم وبابنهِ المتجسد مخلصنا لم يطرأ عليه تغيير البتّة ا· ر

**P. Charles :** Le Dogme, *Bloud et Cie, Paris*. 63 pp.

المعتقد

بحث لاهوتي بدائع فيهِ الكاتب عن التعليم الصادق في وجه المبتدعين المحدثين لوروا (Le Roy) ولوازي (Loisy) ثم يشرح المبدأ القبيل في ديننا « في ترقي العقائد » مميزاً بين وجود الحقيقة ومعرفتها . وهو موضوع غاية في الخطارة النظرية والفائدة العملية لابطال سوء التفاهم ولإبادة كثير من الاعتراضات التي يلقيها اخوتنا المتصلون بالجامع السبعة الاولى . ولا نظنّ ان المؤلف وفى الموضوع حقّهُ من الشرح المناسب . وسوف نعود الى هذا البحث ان شاء الله في فرصة مناسبة ا· ر

**Traités inédits d'anciens Philosophes arabes**

مقالات فلسفيّة لبعض مشاهير فلاسفة العرب مسلمين ونصارى مع تعريب اسحاق بن حنين لمقالات ارسطو وافلاطون وفيثاغورس . طُبعت ثانيةً ونُقّحت وزيد عليها . في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١١ (ص ١٥٦)

كنّا طبعنا سابقاً هذه المقالات المنقولة عن مجلّة المشرق فنال نشرُها الحظوى لدى الشرقيين والمستشرقين حتى قُضي علينا تكرار طبعها . فأعدنا فيها النظر لتنقيحها ثمّ زدنا عليها آثاراً جديدة كنّا ابرزناها في مجلّتنا عن ابن مسكويه وقسطا ابن لوقا فجاء هذا المجموع الفريد وافياً مثماً محتوياً على أجلّ الابحاث الفلسفيّة لائمّة كتبة

العرب. فلا نشك انَّ محبي الوثائق القديمة يقبلون بكل رغبة على هذه الطبعة المستجدة اقبالهم على الطبعة الاولى ل. ش

## دروس الصرف والنحو

القسم الاول. تأليف محيي الدين افندي الخيَّاط

طُبع في بيروت في المطبعة العصرية

سعى الاديب المرحوم رشيد الشرتوني في تأليف سلسلة الدروس العربيَّة المعروف « بالمبادئ العربيَّة » فاقبل عليها القريب والبعيد ثم قام الكثيرون من الاساتذة في سوريَّة ونهجوا ذات النهج تسهيلًا على الطلبة والقوا الكتب الصرفيَّة والنحويَّة وجعلوها اقساماً متسلسلة تدريجيَّة حسب سنّ الناشئ وترقيه فاظهروا بذلك حاجة البلاد الى كتب مدرسيَّة قريبة المنال حسنة السبك والترتيب. وقد نشر آخراً الكاتب الاديب محيي الدين افندي الخيَّاط القسم الاول من دروسه المنشئة على أوَّليات الصرف والنحو فجاء كتاباً سهلًا لا يخلو من دقة نظر وحسن ذوق فله منا الثناء. ا. ر

## كتاب الهمز لابي زيد سعيد بن اوس الانصاري

نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي. واضاف اليه فهرسين وتصحيحات في آخره

طُبع في بيروت في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١١ ( ص ٤٤ )

هذا احد الكتب المفقودة لابي زيد الانصاري مما وقف عليه في دمشق عند بعض الكتبيين حضرة الاب انستاس الكرملي فسمح لنا بنشره في المشرق. وها نحن قد طبعناه على حدة وألحقناه بفهرسين يتضمن احدهما الفاظ الهمز الواردة في الكتاب والآخر اعلام الشعراء المستشهد بهم مع بعض ملحوظات وتصحيحات تتمة للفائدة. والنسخة التي روينا عنها جديرة بالذكر فانها راقية الى السنة ٦٤٩ ﻫ ( ١٢٥١ م ) وفي آخرها اجازة الحسن بن محمد الشهير بالصغاني الذي وقف عليها واجازها. وقد وقع فيها مع هذا بعض اغلاط اشرنا اليها ل. ش

## كتاب التعاليم الانجيلية للعيال المسيحية

للاب اثناسيوس بوتي الفرنسيسي. عرَّبهُ الخوري يوسف المشيقي

طُبع في اورشليم في مطبعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٠٥ ( ص ٤٠٢ )

نشكر حضرة الاب الفاضل يوسف المشيقي الذي اطلعنا على هذا الكتاب

النفيس الجامع بين جودة النحوى ومتانة التعريب وحسن الطبع. اما النحوى فانهُ يورد لكل آحاد السنة واعيادها الكبيرة فصلاً شائقاً يتضمن لُباب التعاليم الدينيَّة الموافقة لذلك الاحد او لذلك العيد لأنَّ فيهِ خلاصة صلوات القداس والرسالة البولسيَّة والانجيل الطاهر المختصَّة بذلك الموسم. فاذا اطَّلع عليهِ المسيحيّ وجد لنفسهِ قوتاً روحياً وافراً يتغذى بهِ وقت استماع القدَّاس بل في طول نهارهِ ومع اهل بيتهِ. اما التعريب فقد اجاد فيهِ حضرة المترجم اذ أخرج الاصل الايطالياني بكل ضبط وكساهُ بثوب من الطلاوة زادهُ حسناً وقدَّم عليهِ كلاماً بليغاً في فوائد التعليم المسيحيّ. اما الطبع فانهُ مُتقَن كل اتقان على ورق صقيل بحرفنا الاسطمبولي الجميل والفصول الملاميَّة المشرقة ولكلّ صفحة اطار انيق وفي آخر الفصول نقوش بديعة. فنحضّ كلّ العيال المسيحيَّة بان يتخذوا هذا الكتاب كرفيق حياتهم المسيحيَّة ودليل فرائضهم العائليَّة ل. ش

## المذاكرات الجغرافيَّة في الاقطار السوريَّة

للاب هنري لامنس اليسوعي
بيروت المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩١١ (ص ٦٤)

كان حضرة الاب هنري لامنس باشر في المشرق في سنتيهِ العاشرة والحادية عشرة دروساً جغرافية عن اقطار الشام كانت نيَّتهُ ان يتابعها مدَّةً فيجعلها كتاباً مستقلًا يلحقهُ بكتابهِ «تسريح الابصار بما يحتويهِ لبنان من الآثار» فوضع في ذلك عدَّة مقالات ثم دعتهُ الاشغال الى سكنى مصر فرومية العظمى ولم يُعد في امكانهِ ان يواصلها. فهذه الدروس مع كونها غير تامَّة هي غاية في الفائدة لمعرفة احوال سوريَّة وبعض ما كتبهُ العرب في وصفها في القرون الوسطى وذلك ما حدا بالمطبعة الكاثوليكية الى ان تنشرها على حدة. واملنا ان الظروف تسمح لكاتبها ان يعود يوماً الى تتمتها والله على كل شيءٍ قدير ل. ش.

## مجموعة المحرَّرات السياسيَّة والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان

الجلد الثاني تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن
مطبعة الصبر في جونية سنة ١٩١١ (ص ٤٨٠)

يتابع الشيخان الاديبان فيليب وفريد الخازن نشرهما للمحرَّرات السياسيَّة التي

اتينا عليها سابقاً ( المشرق ١٣ : ٧٩٢ ). وهذا الجلد الثاني يحتوي على نصوص هامّة تتراوح بين ك ٢ و ت ١ من السنة ١٨٦٠ موضوعها الحوادث المشؤومة التي خرّبت الديار ويتّمت الاطفال وأثكلت الامهات مع ما جرى عندئذٍ من المفاوضات الدوليّة التي نتجت عنها احوال لبنان الحاضرة. كل ذلك تجدهُ مفصلاً في الصكوك والاساطير الكاشفة القناع عن محجوبات الاسرار وبواطن المكايد فانَّ مطالعتها لمّا يُدمِع العين ويدمي القلب. وقانا الله شرّ الفتن والبغضاء. ا. ر

# شَذَرَاتٌ

اين السعادة — قصيدة عصريّة لحضرة الخوري رافائيل البستاني:

أقصُوا الديانةَ والالهَ بعيدا ... وأتوا بمن يطوي الحياةَ سعيدا..

هل من فتى خلعَ العذارَ وما ارعوى ... فصفتْ له كأسُ الحرامِ ورودا!

هل من فتى ضلَّ السبيلَ وما انثنى ... فرأى بمنزلهِ السعودَ وُفودا!

هل من فتى يَتَّخِذُ الفواحشَ خلَّةً ... فغدا على طُغيانهِ محمودا!

ولرُبَّما ظنَّ الاثيمُ بغبطةٍ ... فالطيرُ ترقصُ إنْ ذُبِحنَ سُعُودا

فدَعُوا اليراعَ يخطُّ اوصافَ الذي ... أضحى عن النهجِ القويمِ شرودا

هو عبدُ عبدٍ يدَّعي حرّيّةً ... أفليس اميالُ الفسادِ قيودا!

فيرى بهاءَ فضيلةٍ وسموَّها ... فيهيج اذ لا يستطيع صعودا

قد أوثقت منهُ الفؤادَ رذيلةٌ ... فأطاعَ منخفضَ الجناحِ قؤودا

ذِكرُ الطهارةِ والبرارةِ منخِزٌ ... يُدمي فيُشجي قلبهُ المفؤودا

فمن الرذيلةِ للفضيلةِ نادمٌ ... حيثُ الخطا كشنَّ العقابُ رصيدا

يغدو الضميرُ المشتكي والمشتكي ... بل قاضياً ومنفِّذاً وشهودا

عبثاً يحاولُ بالمحال تملُّصاً ... تأبى عليهِ جروحهُ تضميدا

نشأت بصيرتَهُ غيومُ رذائلٍ ... فتُريهِ عيناهُ النواصعَ سودا

فتهولهُ نارٌ تأجَّجُ في الحشا ... فيبيتُ يندبُ حظَّهُ المنكودا

قد نغَّصت عيشاً عليهِ حالةٌ ... فيما يُعاني الحزنَ والتكميدا

فيودُّ اطفاءَ الضميرِ بحنأَةٍ   « والنـار تأبى بالهشيم خمودا »
ظناً الاثيمِ هو الأتونُ وانما   يزداد بالحطبِ الوقودِ وقودا
فيزمُّ لسباب السرّةِ والصفا   فيزيدهُ ذاك الصفاء كمودا
حيث انثنى يدوي صراخ ضميرهِ   متهدّدًا ومبكّتًا ومعيدا :
« يا ايها الساري الضالُّ سبيلهُ   في غيرِ ربّك لا تنال سعودا »
فينكس الراس الذي قد خدّدت   منهُ الخدودَ رذيلةٌ تخديدا
ويجيل طرفًا زانهُ منهُ غدا   نورُ الهداية والنهى مفقودا
فادرْ لحاظك باصفرار جبينهِ   تقرأ جبانًا غادرًا وكنودا
حنتِ المساوئ منكبيهِ واوشكت   تلوي فتقصف ذلك الأملودا
فيسير في شرخ الشباب مقوّسًا   فكأنهُ هرمٌ مشى مصفودا
تلفيهِ طورًا حائرًا متذللًا   متصاغرًا متملّقًا رعديدا
وتراهُ حينًا مُفحشًا متغطرسًا   فظَّ الطباع مخادعًا عربيدا
حنقًا على الدين القويم واهلهِ   فيهم يرى التأنيبَ والتنديدا
فيثور ثاثرهُ ويُوتر قوسَهُ   كاللص ينظر شرطةً وجنودا
ويهيج بركانُ اللائمة فاذفًا   حممَ السباب ولا يروم ركودا
فاسمُ الاله بسمعهِ صواعقٌ   قد اورثتهُ الهمَّ والتسهيدا
فيودُّ لو يلغي ضميرًا ناخزًا   فيبثُّ ينفي للاله وجودا
واذا أرتهُ وجههُ مرآتهُ   نادى وقال : الاصلُ كان قرودا
فلمَ الطهارةُ والشهامةُ والتقى   حسبي اتبع في السير جدودا
لم تجدِ هذي السفسطاتُ مخللًا   نفعًا ولم تذهب شجىً ونكودا
لم يترك الباقي الجحودُ الههُ   بل انما ترك الالهُ جحودا
فالدين مثل البحر يقذف جثةً   فسدت ليأمنَ نتنها والدودا
ما قولكم يا قومنا في معشرٍ   لا يرهبون من الاله وعيدا
ما يمنع البعلَ الجحود وزوجهُ   من ان يخونا موعدًا وعهودا ؟
ويجدف «أكرم والديك» فما الذي   يغني لتدفع للخضوع وليدا ؟
فاذا حذفتم شرع دين هيئوا   رحبَ السجون لولدكم وحديدا .

أبتِ السعادة والمحبة والوفا سكناً على اسّ المكارم شيدا
سرُّ السعادةِ خطَّةٌ محمودة ما جاوزت للدين قطُّ حدودا
يا من يروم ولوجَ صرح سعادةٍ وسلامة فخذ التقى اقليدا
فالدين تعزيةُ النفوس وطيبها وسواه ليس الى الهناء رشيدا

**الارقام الهندية** الارقام الجارية بين العرب من الواحد الى العشرة والتي عليها مبنى بقيّة الاعداد تُدعى عند العرب بالارقام الهنديّة لأنهم اخذوها من اهل الهند ويدعوها الفرنج بالاعداد العربيّة لأنهم اخذوا صورتها من العرب الّا انّ احد علماء الفرنج الاب نو (l'abbé Nau) اكتشف في مكتبة باريس كتاباً لساويروس النصيبيني المعروف بسبوخت تحت عدد ٣٤٦ من المخطوطات السريانيّة فيه هذا الكاتب السرياني عدّة تآليف فلكيّة في الاسطرلاب والكسوف والخسوف ومنطقة البروج والحسابات السنويّة. وفي الصحيفة ١٧٠ من هذا الكتاب ذكر الاعداد العشريّة الجارية عند الهند فالمؤلف يطري هذه الطريقة لحساب الاعداد ويبين انّ اهل الهند يفضلون فيها على اليونان . فمن هذا النصّ قد حقّق الاب نو انّ العرب لم ينقلوا الارقام الهنديّة من بلادها رأساً وانّما اخذوها من السريان كما توصّلوا الى علوم اليونان بواسطتهم ايضاً ولولا السريان لفات العرب معارف كثيرة . وازهر سبوخت في اواسط القرن السابع وعليه لا صحّة لقول صاحب الهلال في عدد يناير (ك ٢) من السنة الحاضرة (ص ٢١٢) «انّ هذه الارقام اتت من الهند الى بغداد ايام المنصور او الرشيد» اذ عرفها السريان مئة سنة قبلهم (راجع مجلّة الشرق المسيحي ROC. 1910, p. 250)

**منشور سيادة المطران جراسيموس مسرّة** قرانا في مجلّة اصداء الشرق (١١ : ٩٨) ترجمة افرنسيّة لمنشور كتبه سيادة مطران بيروت على الروم الاورثذكس بنسبة مقالة العلامة ماكس الخوري الكاثوليكي يعرض فيها آماله بالاتحاد مع الكنيسة الغربيّة فاثنينا على لهجة سيادته ورقّة كلامه ولم نطّلع حتّى الآن على اصل هذا المنشور في العربيّة فنبدي فيه رأينا

**مقالة التبغ** توفّرت علينا المواد في هذا العدد فلم يمكنّا ان نروي شيئاً من هذه المقالة المستجادة. فان شاء الله ننشر منها قسماً صالحاً في العدد القادم

# اسئلة واجوبة

س سأل من روسية احد المستشرقين لأيّ سبب نُسبت الثياب المنبجانية او الانبجانية الى منبج كما روينا سابقاً (ص ٨٠) وهل كانت منبج مدينة صنائع

منبج وصنائعها

ج يظهر انَّ منبج كانت غنيَّة بالانسجة الصوفيَّة ولا عجب لانَّ حولها المراعي المتَّسعة التي كانت تسيم فيها المواشي. وكذلك اشتهرت بمجازها وقد ذكر ابو الفداء (تقويم البلدان ص١٧١) إنَّ مزارع التوت كانت كثيرةً في جوار منبج لتربية دود القزّ

س وسأل ايضاً من هم المناكب والعرفاء الذين كانوا في عهد بني اميَّة

المناكب والعرفاء

ج روى في تاج العروس عن الليث انَّ مَنكِب القوم هو رأس العرفاء. ثم شرح العريف بقوله انهُ رئيس القوم او هو القيِّم بامور الناس. وعليهِ يكون المنكب اعلى رتبةً من العريف . والعريف هو كالناظر والمدير. وكانوا ايضاً يستعملون اسم العريف للضابط فيقال عريف على عشرة (اونباشي) وعريف على مئة (يوزباشي) الخ

س وسأل عبدالله افندي قصير من تلامذة الكليَّة الاميركيَّة هل تعتقد كنيسة السريان القدماء قضيَّة الاستحالة. وهل يوجد برهان على اعتقادهم هذا ومن الذين صرَّحوا منهم بهذا الامر

السريان القدماء وقضيَّة الاستحالة

ج السريان القدماء اتّفقوا مع الكنيسة الرومانيَّة وجميع الكنائس الشرقيَّة في اعتقاد قضيَّة استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد ودم السيّد المسيح في القربان الاقدس. امَّا البراهين على ذلك فاكثر من تحصى سواء كان في ليتورجيَّة السريان او مجامعهم او معلّميهم الكبار مباشرةً بالقديس افرام السرياني ثم القديس يعقوب السروجي وافراهاط ويعقوب الرهاوي. والشواهد على ذلك عديدة تستغرق مجلّدات كبيرة قد جمع قسماً منها السيّد لامي في كتابهِ المعنون : اعتقاد السريان لسرّ الافخارستيا (Lamy : *De Syrorum fide et disciplina in re eucharistica*, Louvain, 1859) وعنهُ نقل سيادة الطيّب الذكر المطران يوسف الدبس في خطبتهِ التي عنوانها : في اثبات وجود جسد المخلّص ودمهِ حقيقةً في سرّ الافخارستيا بشهادات الكنائس السريانيَّة . طُبع في بيروت سنة ١٨٩٣ ل. ش